كتاب اليوم
ثروت أباظة

.. وبقي شيء

كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :

موسى صبري

رئيس التحرير :

أمين محمد عودة

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :

حسين فريد

محرم ١٤٠٠

العدد ١٦٠ ديسمبر ١٩٧٩

كانون الأول

الإدارة : أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط
تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٩

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية : قيمة الاشتراك السنوي ٢,٥٠٠ جنيه مصري

البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربي والأفريقي	٤,٠٠٠	جنيه مصري
	٩,٠٠٠	دولار أمريكي أو ما يعادله
باقي دول العالم (أوروبا والأمريكتين وآسيا واستراليا)	٩,٠٠٠	جنيه مصري
	١٥,٠٠٠	دولار أمريكي أو ما يعادله

- ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
- ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٢٣ ش الصحافة بالقاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

ثروت أباظه

٨ .. وبقي شئ

الغلاف

بريشة الفنان

الأستاذ حسين بيكار

وبقي شيء

أخذ طريقه في الحياة وهو يعلم ألا سبيل له غير اجتهاده · كيف استقر هذا المعنى في نفسه · انه لا يدرى · كان الشباب يتفجر في داخله وكان اخوانه يمزقون الحياة بشبابهم ولم تكن نفسه عازفة عما يصنعون وانما كان يتوق الى ملاعبهم وتهفو اليها خواطره ورغباته ، وكان يريد أن يكون خنجرا في صدر الليالي يعتصر رحيقها أحمر في لون الخمرة الحمراء أو في لون دماء العذراء وكانت نفسه تحن الى الليالي التي لا تعرف بداية أو نهاية ولكنه كان يقمع كل ما تمور به رغباته وينصرف الى الدرس والمذاكرة · شيء واحد ضعف أمامه ولم يستطع أن يرد نفسه عنه هو المسرح ·

وقد جعل ذهابه الى المسرح في كل يوم خميس هو جائزته عما بذله من جهد في أيام الاسبوع الستة الاخرى · وقد كان منتظما مع المسرح كما كان منتظما مع المذاكرة ·

أخلف موعده مع المسرح في مرات قلائل ذهب فيها مع رفاقه وتمتع بما يتمتعون به وبهرته حياتهم ولكنه مع ذلك استطاع أن يمنع انبهاره أن يميل الى طريق الرفاق ·

فالحياة التي كان يشاركهم فيها يوم الخميس كانوا هم يعيشون فيها كل أيام الحياة وربما استثنى بعض منهم شهرا أو شهرين قبيل الامتحان ، ولكن الحياة الطبيعية كانت هذه المتعة التي يعيشون بها

ولها والتى خاف بهجت ان يشاركهم فيها بأيام الخميس فتصبح كل أيامه خميسا ٠

ليس يدرى من أين واتته هذه الحكمة التى لا تتفق مع طبيعة الشباب والتى تختلف بالذات مع طبيعته هو ٠ فقد تنسجم مع فتى غير راغب فى العربدة اما هو فيعبد هذه العربدة ومع ذلك استطاع أن يكون هذا الفتى المثابر فى المذاكرة والحريص على النجاح ٠

ولا يدرى أيضا من اين جاءه حبه للتمثيل هذا الحب الذى جعله يواظب على حضور المسرح كل يوم خميس فى أيام المذاكرة وكل يوم فى أيام الاجازة ٠

وقد حاول أن يحلل هذا الشغف بالمسرح فعجز وأسلم نفسه اليه فى نشوة وبغير تحفظ ٠

ربما كان حرصه على المذاكرة وليد ما كانت أمه تنبهه اليه ٠ فقد مات أبوه وهو بعد فى المراحل الاولى من الدراسة وقد كان أبوه غنيا واسع الغنى ولكنه كان يريد هذا الغنى أن يتسع ويزداد ولا تقف به نهاية فكان يدخل فى مشروعات مالية لا آخر لها ، ونجحت بعض هذه المشروعات فكان جنون المال عنده يزداد ٠ وهكذا أصبح المال عند أبيه غاية لا وسيلة فكان عنده ما يستطيع ان يحيا به فى خفض من العيش وفى بحبوحة ورغد ٠ وكان عنده ما لو تركه لولده لاصبح من الاغنياء الذين تذكر أسماؤهم اذا ذكر الغنى ٠ ولكن لم يكن هدف شاكر أن يصيب المال ليأمن الفقر ولا أن يصيب المال ليهيىء لابنه امانا من الحياة ٠ لقد أصبح جمع المال فى ذاته هو الغاية والهدف ٠ وحين يصبح الامر كذلك يصبح من الطبيعى أن يندفع شاكر منتهبا أيام عمره فى تحقيق هذا الهدف وهو لا يدرى ما يدريه كل الناس ان هذا هدف لا يمكن أن يتحقق فانه لا نهاية للارقام ٠

ومثلما تستطيع هذه الارقام أن ترسل الامن والنشوة الطاغية المتفجرة الى النفوس تستطيع أن ترسل الالم المرير واليأس القاتل وتستطيع أن تصبح ركاما من الثلوج بلا دفء ولا رحمة ٠ فالارقام التى لا تعرف النهاية لا تعرف الرحمة أيضا ٠

وحين مات الاب كانت ثروته كلها قد استنزفت فى محاولة انشاء ثروة أضخم وبقى لزوجته بعض مال يشكل فقرا أكثر مما يشكل

سترا وبقى لها أيضا بهجت فى أول حياته ، فمستقبله جميعا عبء على أكتافها وعلى أكتاف هذه الصبابة الضئيلة التى بقيت لها من اموال زوجها ٠

وكانت نفيدة تعلم انه لا امل لها فى أن تنال شيئا من عون خيرى عم بهجت وأخى زوجها ٠ فقد كان الاخوان متنافرين وربما كان سعار شاكر فى جمع المال يرجع الى غنى أخيه الفاحش ٠ فقد كان تاجرا يحسن العمل فى تجارته ولم يكن يتجاوز مجال نجاحه هذا الى أى مجال آخر ٠ فقد كان يتاجر فى الفاكهة والموز بوجه خاص وقد اشترى من تجارته ارضا زراعية واسعة ولم يزرع فيها الا الموز فهو فى زراعته وتجارته خبير قل أن يلحق به لاحق ٠ وقد حاول شاكر أن يشاركه ولكنه أبى عليه هذا مدعيا أنه تعود أن يكون منفردا بتجارته وبرأيه فيها ويخشى اذا شارك أحدا حتى ولو كان أخاه أن يتعثر به الرأى ٠ ولم يكن هذا الطلب من شاكر وهذا الرفض من خيرى هو أول الخلاف ولا كان آخره وانما هو خلاف نشب بينهما منذ الطفولة ونما معهما واشتد مع الزمان وكأنه كائن حى تزيده الايام قوة وصلابة وكانت نفيدة على ثقة من أن شاكر لو كان قدر له أن يعيش حتى يبلغ الشيخوخة لما استطاع وهن الشيخوخة أن ينال من عنف الخلاف بين الاخوين فهو خلاف من ذلك النوع الذى تغذيه الايام وتزيده مرارة وشرا وقتامة ٠

ادركت نفيدة منذ بدأت تفكر بعد موت زوجها وهو مفلس أن ليس لها الا هذا المال القليل الذى خلفه لها ولابنها ٠ وحين زارها خيرى لينبئها أنه تحت أمرها لم تحاول أن تطلب منه شيئا فهى تعرف أن الاخ الذى يريد أن يقدم عونا لا يعرض قولا وانما عملا وما دام لم يفعل فالامر اذن كما توقعته ٠

واجهت الايام ونشأ بهجت فى هذه الضائقة وكان يعرف ماتعانيه امه وما كان له الا يعرفه ٠ وكيف وهو لا يسمع من أمه الا عن هذا العناء ٠ ولعله فى نفسه البعيدة كان يرد نفسه عما تشتهيه حتى لا يزيد عبء أمه أعباء ٠

وعيث أنها سمحت له بالذهاب الى المسرح الا أنه لم يكن يقول لامه انه فى أغلب الايام التى يذهب فيها الى المسرح كان يشـــاهد

روايات سبق لهأن شاهدها مرات ومرات وكانفيأول هوايتهيعجب من نفسه ومن جنونه هذا الذى يجعله يذهب ليرى شيئا شاهده وعرف كل أسراره بل انه في بعض الروايات كان يسبق الممثلين بجمل الحوار وراح يمعن النظر في شان نفسه فتخادعه نفسه عن نفسه ولا يدرى سر هوايته · ولكن سرعان ما تكشفت له الحقيقة · انه يحب التمثيـــل أكثر مما يحب المسرح · انه يتمنى ان يكون ممثلا · ولا شك فى هذا كانت نفسه تطوى عنه هذه الحقيقة ولم تكن تعترف بها حتى حين يعود من المسرح ويقف أمام المرآة ليمثل الادوار حتى أدوار النساء والخدم ·

أمل لا سبيل الى تحقيقه · فهذه مهنة قد يعترف بها مثقف ولكن هيهات أن تقبلها أمه له لقاء ما عانت من حرما وشظف عيش ·

انها ستقول اهذا جزائي · وفكر أن يحاول · وخاف واستجمع بعض شجاعته ثم لم يستطع · كان امتحان الثانوية العامة قد اقترب وكان قد اختار القسم الادبي لانه كان يعرف أنه أقوى فى المواد النظرية · وكانت أمه دائما تقول انها تحب أن تراه وكيل نيابة وقاضيا فلم تكن تسأله عن الكلية التي يريد الالتحاق بها مفترضة انها الحقوق فما تعود أن يخذل لها رغبة فكيف به اذا كانت أمنية ·

للامومة عند تفيدة لحظات تفيض فيها وتنسى أن ابنها اصبح شابا وتحب أن تحتوى هذا الابن وتجلسه على ركبتيها وتهزه بهما وكأنه مازال ذلك الطفل الوليد وكانت تفيدة فى كثير من الاحيان تحب أن تزيل عن ولدها ما كانت ترسبه فى نفسه من مشاعر فقر وحاجة · تربت ظهره وتقبله وتنظر اليه ويسبح من عينيها أن هذه النظرة حبها من الدنيا وأنها تجد فيها أعظم مكافأة على مابذلت من سنوات عمر شداد ·

فى مرة من هذه المرات ظن بهجت أن الامومة تستطيع أن تقبل منه اى شىء حتى رغبته فى أن يكون ممثلا ·

ــ هل أعجبك الفيلم الذى شاهدناه

ــ متى ؟

ــ الشهر الفائت

ــ ولماذا تذكرته

ــ فقط اسأل

ــ لقد قلت لك انه أعجبنى ساعتها

ــ الم يعجبك الممثل

ــ وكيف لايعجبنى انه احسن ممثل فى مصر وربما فى الشرق الاوسط

ــ اريد ان أكون مثله

ــ لقد كان يمثل دور طبيب وانت ادبى

ــ اريد ان أكون ممثلا ·

لو كان قد اخرج مسدسا ووضع فوهته أمام عينيها ما اصابها هذا الذى طفح على وجهها · اخذت · صمتت · انفتحت عيناها حتى اوشكتا أن تنفجرا انهما بركانان صغيران بل كبيران هاتان العينان ·· وجهها صفرة ، جبهتها غضون . الابتسامة صارت يأسا، الحنان أصبح هلعا · نور الصباح انقلب فى سمتها ظلاما قاتما ·· لحظات· وطفرت دموع أمسكت بها لن تسيل فيرتد البكاء الى صوتها لتقول . فينحبس القول وتبتلعه فيستعصى وبهجت يتمنى لو لم يكن قال ما قال ويهم بأن يدعى شيئا يزيل هذا الهول الذى الم بها فتردعه نفسه · لقد قال فلينتظر الى أى مدى تصل به تجربته · واستجمعت الام نفسها آخر الامر وصرخت فى صوت مكبوت لا ترتفع نبراته وان كان الصياح منه يطرق أبواب السماء ·

ــ لو عرفت الايام التى عشتها أو التى متها من اجلك · الذعر من الغد واليأس يمسك به بعض الامل فاننا بينهما خرقة ممزقة متهرئة لا ترتاح الى اليأس فتسقط وتنتهى ولا تتعلق من الامل بأسباب تتيح لها اسباب البقاء · حياتى خوف راجف بعض منه يزلزل الجبال والحياة حولى متاهة كبيرة لا اجد احدا اسأله الطريق بل لا اجد أحدا اشكو له التيه · اخاف عليك الشتاء يأتى فلا أكسوك وأخاف عليك ان يجرحك زميل بامتهان · طفولتك شيخوختى وانا فى ربيع الشباب وشبابك اعبائى وانا فى خريف من الكهولة ·

أكل الذى بذلت · لتكون ممثلا ! · آمالى ونفسى وطمأنينتى من أجل ·

ــ كفى ·· كفى ·· وهل أصبحت ممثلا فعلا

ـ يكفي ان تريد

ـ كلمة جرها حديث

ـ بل أنت الذي خلقت الحديث

ـ ربما أردت أن أمزح

ـ ليس في القتل مزاح

طوى أمله في ذلك المكان من نفسه الذي تعود فيه أن يكبح رغباته. ولو أن هذا الامل كان جامحا لا يتيح له أن يهدأ أو يراح الى يأس .

دخل كلية الحقوق وسار حياته كما تعود أن يسيرها واطمأنت أمه فلم تصبح تخشى عليه أن يذهب الى المسرح في كل أسبوع كما تعود . وانتهت السنوات حتى صار الى السنة النهائية ثم حدث حادث .

كان عمه يزور مزرعته ومعه زوجته وابنه الوحيد عاصم وكان لابد للعم أن يعود الى القاهرة في المساء وكانت السماء تمطر ذلك المطر المصري الهين الذي يجعل الطريق صعيدا زلقا والذي يجعل السيارات معرضة لخطورة بالغة . ولولا أن خيري كان واثقا من مهارة سائقه لاتخذ في السفر وسيلة أخرى غير السيارة ولكن كيف اذن تنقلب حياة بهجت .. انقلبت سيارة خيري في النيل ومات الاربعة جميعا وفجأة أصبح بهجت الوارث الوحيد لعمه .

لو لم يكن في نهاية الطريق في كلية الحقوق لكان فكر ان يكتفي ولكن لم ير بأسا من ان يكمل دراسته . وانتهز الفرصة من هذه الاشهر التي كانت تفصل بين الثروة المفاجئة التي هبطت عليه وبين الامتحان ليعد الخطة التي يريد أن يختطها . في اناة وروية أعد خطته وبغير أي تسرع ونجح بهجت في الامتحان .

ـ هل تصرين ان أكون وكيل نيابة ؟

ـ هذا شيء أحبه لك ولكن أنت في ذلك حر . فما دمت قد نلت الليسانس فأنت

ـ اذن فاسمعي ما أقوله لك جيدا ولا تغضبي

ـ قل

ـ المال الذي تركه لي عمي

ـ ماله

ـ أولا أنا ساصفي التجارة

ـ ولماذا

ـ أتريدين أن أصبح مثل أبي

ـ وكيف

ـ لو تاجرت فساصبح مثله فانا كما تعرفين لا أدري من شأن الموز شيئا الا انه فاكهة يأكلها الناس بعد أن يقشروها وتقول الامهات لاولادهن لا ترموا القشر في الطـــريق حتى لا يتسبب في وقوع الناس .

والى هنا وتنتهي معلوماتي عن الموز .

ـ هذا عن التجارة . فماذا عن الزراعة

ـ ان عرفت عن الموز جملة ، فانا لا أعرف في الزراعة حرفا

ـ فستبيع الارض اذن

ـ لا وصلت الى طريق

ـ ما هو ؟؟

ـ ساؤجر الارض الى خبراء وقد سألت فعرفت القيمة المناسبة ولن أكون مظلوما في الايجار

ـ تفكير لا باس به

ـ وعلى هذا فرأس المال سيبقى ولن يمســـه أحـــد حتى ولو انتحرت . فلا شك أنني سأتزوج ولا أحب لزوجتي أن تعـــاني ما عانيت أنت معي

ـ عين العقل

ـ وايضا ساعتبر ما احصل عليه من تصفية التجارة من ضمن رأس المال وساشتري به أسهما باسمك حتى لا أمسها .

ـ أنا لا أريد شيئا

ـ أنا الذي يريد أن يكبل نفسه

ـ وهو كذلك

ـ المال السائل بعد ذلك أنا حر فيه

ـ وماذا ستفعل

ـ هذا شأني

ـ الا تقول لي

ـ ستعرفين

ـ وعرفت . كانت آمال المتعة مازالت تداعب نفسه ولكن الامل في أن يكون ممثلا كان أكبر ، ليس من السهل أن ينشىء مسرحا ، فهو يعلم أن احدا لم يسمع به . وأن أحدا لن يرى مسرحه . وستكون التجربة غير مقنعة بالنسبة اليه .

فهو يريد أن يعرف رأى الناس ولن يأتي هؤلاء الناس للمسرح أبدا مادام هو منشئه ، كان قد أعد الخطة .

سيعتمد في أول الامر على مشاهير الممثلين . وسيمثل الى جانبهم الروايات العالمية انه يريد أن يمثل عطيل ويســال ديدمونة عن المنديل ..

وفيدرا ..
وأوديب الملك . ويخرج عينيه ويصبح أعمى
وصلاح الدين ويحارب ..
وانطونيو وكليوباترا ويحب ويخون بلاده ثم يموت في سبيلها
واهل الكهف لتوفيق الحكيم
وكل الادوار

يريد ان يكون ممثلا كوميديا ايضا فيجمعالى بطولة المأساة بطولة الاضحاك وهو يعلم ان موهبته بقدر مايريد .

أنشأ المسرح

وبدأ التمثيل وكان لابد من البروفات وكان المخرجامينا . ولكنه وجد نفسه وجها لوجه امام رجل صاحب مال ولكنه يقف لاول مرة على المسرح فانتحى به جانبا .

ـ استطيع ان أقول لك انك اعظم ممثل في العالم
ـ غير معقول

ـ انت صاحب المال والمفروض ان صـاحب المال هو اعظم كل شيء في العالم .

ـ ولكنك أمين

ـ ليس فقط لانني امين ولكن ايضا اعلم ان كذبي سينكشف منذ اللحظة الاولى التي سيرفع فيها الستار عنك .

ـ وماذا ترى

ـ ماذا ترى انت
ـ امرك
ـ امرى ان تؤجل افتتاح المسرح عاما كاملا
ـ عاما كاملا
ـ اعلمك فيه التمثيل
ـ وهل عندى موهبة

ـ اكذب ايضا لو قلت انني اعرف .. فكثيرا ما انتظرنا ان يصبح تلميذ من تلاميذنا احسن ممثل في العالم ثم لايقبله الجمهور والعكس صحيح نجح من كنا نتوقع لهم الفشل الذريع .

ـ ولكني اعبد المسرح
ـ المسرح لايهتم كثيرا بمن يعبدونه أو لايعبدونه
ـ وكيف اعرف
ـ استطيع بعد فترة من تمرينك ان اخبرك ولكن الحكم ليس لى
ـ للجمهور

ـ انه لايهمه ان تكون صاحب مال أو لاتكون ولايهمه ان تكون صاحب موهبة أو لاتكون هو يقبلك وهو لايقبلك دون سبب وهو لا يحتاج أن يبدى أسبابا .

ـ والنقاد

ـ لاشأن للجمهور بالنقـــاد فقد يصفقون ويشقون حنـاجرهم بالهتـــاف للرواية أو للمسرحية أو للمؤلف أو للممثل ولا يقبـل الجمهور وقد يكيلون الصفعات ويقبل الجمهور .

ـ اذن

ـ الامر لك

ـ ليكن ماتريد

وبدأ العام واستطاع صحفى ذكى ان يتعرف على بهجتواستطاع ان يجعل من تجربته هذه مادة صحفية فيها طرافة وفيها جد وفيها ايضا شهرة سبقت بهجت الى المسرح وأقبل عليه مصورو الصحف يلتقطون صورته وهو يتعلم التمثيل ويجرون معه الاحاديثفيخبرهم عن الكتب التي يقرأها في هذا الفن واستطاع المخرج فعلا ان يجمع له برنامج المعهد العالي كله في عام واحد ، اما الامتحان فهو لم يكن

فى حاجة اليه · وكانت المجلات والصحف تضع عنـــاوين مثيرة للتجربة · المحامى يترك ساحة القضاء الى خشبة المسرح · بهجت شاكر لايستعجل الشهرة وانما يعد نفسه للفن الصحيح · والمجال واسع والصحفيون فى انشاء العناوين لامثيل لهم ·

وانقضى العام وكان بهجت ذكيا فلا يقبل ان يكـون هو بطـل الرواية وانما قدم احد عمالقة المسرح ونخبة متالقة من نجومه ليقف فى ظله وظلها ·

ونزلت الاعلانات فى بذخ الاسماء الكبيرة احمد فؤاد وســـهام سامى ، بالخط الكبير الضخم وتحتها فى تواضع . بهجت شاكر

احمد فؤاد ، ممثل اصبحت شهرته تملأ العالم العربى اجمع واستطاع من خشبة المسرح ان يكون نجما سينمائيا شهيرا ·

وسهام سامى فتاة فى ريعان العمر ، متالقة الجمال قفزت هى الاخرى الى السينما واصبح تمثيلها على المسرح حدثا فنيا من شانه ان يحقق النجاح ·

وكانت الليلة الاولى ·

ويرى الجمهور لاول مرة فى حياته ويراه الجمهور ·

كانت الليلة ناجحة نجـاحا باهرا · فالمدعوون يملأون المسرح وليس الجمهور والمدعو فرح دائما لانه تفلت الى المسرح مجانا فهو كثير التصفيق · ولم يدر المصفقون ماذا صـنعوه بتصفيقهم هـذا لبهجت · لقد جن به الجنون وراح يجوب الطرقات ماشــيا تاركا سيارته امام المسرح لقد حقق الامل الاكبر فى حياته ولقد اصبح ممثلا ·

وفى الليلة التالية عرف المخـرج وعـرف الممثلان الكبيران ان المسرحية فشلت ولم يدرك بهجت هذه الحقيقة الا فى اليوم الخامس حين تقلص المدعوون واصبحت الصالة لاتحوى الا المشترين ، لم يفكر فى خسارته المادية ولكنه احس ان امله بعيد وانه مازال بينه وبين هذا الامل مدى بعيد · كان هذا أمله الوحيد بعد سوسن وقد ضـاع ايضا ·

ادرك هذه الحقيقة على رغم مقالات النقاد التى امطرته بوابل من المديح والتمجيد

كان قبل تجربته يظن ان اقلام النقاد هى راى الجماهير ثم روعته الصالة الخاوية التى تمثلت له هوة من الفراغ واليأس وادرك ان النقاد جمهور مستقل بذاته لاصلة بينه وبين الجمهور الذى يصنع النجوم ، ان هذا الجمهور يحكم بلا حيثيـات ويصـدر حكمه فى قسوة واضحة بلا رحمة وبلا محاولة للتلطف فى التعبير أو ابداء الرأى انه ببساطة لايشترى التذكرة وبهذا التـوقف عن الشراء يصدر الحكم ·

حاول الصحفى ذكرى لطيف :

ـ ليست التجربة الاولى هى كل شىء

ـ بل هى كل شىء اذا لم أعرف العيب حتى اصححه

ـ الرواية ارفع من مستوى الجمهور

ـ ان عدم اقبال الجهور لايعطينا الحق ان نشتمه · لقد اقبل على روايات اعلى مستوى مما قدمت ·

ـ مسالة حظ

ـ حجة عاجز · لماذا يخدم الحظ غيرى ولا يخدمنى وقد هيات له كل الفرص ليمشى فى ركابى

ـ الحظ لا يساله احد

ـ الا تجرب مرة ثانية

ـ او ادرى فيم اخطات فى الاولى · ولم يجد ذكرى شيئا يقوله

ورن جرس التليفون فى بيت بهجت

ـ آلو · · من

ـ انا سهام

ـ سهام ســـامى

ـ هل تعرف غيرها

ـ اهـلا

ـ ماذا تفعل الليلة

ـ امثل

ـ اقصد بعد التمثيل

ـ انـام

ـ بل لاتنم

- خيرا
- اريدك ان تتعشى عندى
- امــرك

وسألته امه عما تريده منه سهام فاخبرها

- ما المناسبة
- لا ادرى .. يبدو انها تريدنى فى شىء هام
- وماذا بينك وبينها
- زملاء
- هل اصبحت مثلها
- على كل حال هى تعمل عندى الآن
- ليست هذه لغة فنون ولكنها لغة صاحب مال
- يبدو ان هذه هى الحقيقة
- فلماذا لاتقتنع بها
- حين اتأكد سأقتنع
- اتريد ان تتأكد
- لقد علمنى الفقر كثيرا
- مثل ماذا
- مثل ان اواجه الحقيقة مهما تكن مرة
- فواجهها
- حين أراها بعينى سأواجهها
- ألم ترها
- ليس بعد
- سأتركك حتى تراها
- لو كنت رحبت بفكرة أن اكون ممثلا يوم عرضتهاعليك أيام الفقر لاخذت رأيك اليوم بلا أى تفكير ولكنك لو رأيت نفســــك يومذاك والى اى حد ذعرت انى على حق حين أرفض رأيك أو على الاقل اتحفظ فى الاخذ به .
- أرجو ان أكون مخطئة وتكون محقا .. وفى العشــــاء وجد بهجت نفسه مع سهام سامى وأحمد فؤاد ووجد معهم ثالثا يعرفه بالشهرة ولم يكن قد التقى به قبل ذلك . انه سالم خليل المخرج السينمائى .

قال أحمد :

- عدم نجاح تجربة المسرح يجعلنا نبحث عن الطريق السليم
- وما هو
- ما رأيك فى الانتاج السينمائى
- لا خبرة لى فيه
- ولم تكن لك خبرة بالمسرح
- لقد اخذت احسن العناصر التى تعمل فى المسرح
- وستختار احسن العناصر التى تعمل فى السينما
- لم انجح فى التجربة الاولى
- وقد تنجح فى التجربة الجديدة
- هل عندك قصة
- سالم خليل هو الذى اختارها
- هى قصة لكاتب معروف لم يسقط له عمل قبل اليوم
- هل انت واثق منها
- استاذ بهجت ان لى اسما لابد ان احافظ عليه
- هل معك القصة .
- معى
- اقراها
- اذا شئت فأنت رجل مثقف وتستطيع ان تحكم
- لم استطع ان اصل فى المرة السابقة
- كم من فشل اعقبه نجاح
- استاذ سالم اتعرف لماذا قدمت هذه المسرحية
- حبا للفن
- انا اريد ان امثل . لا أريد مالا فعندى مايكفينى ولكننى اريد ان امثل
- وهذا وحده سبب معقول
- واحب المسرح
- لعلك اذا نجحت فى السينما تستطيع ان تنتقل الى المسرح
- آخذ الطريق من آخره
- المهم ان تصل
- أجرب .. ولكن هل رأيت المسرحية

ـ نعم ·· نعم
ـ ماذا فعلت
ـ لا أدرى ·· كثيرا ماتكون الاعمال جيدة ولاتنجح
ـ لاشك فيها
ـ وانت يا استاذ احمد
ـ فعلا
ـ وانت ياسهام
ـ الم تلاحظ انني لم اتكلم من اول الليلة
ـ لاحظت
ـ فاسمح لى اذن ان اكمل الليلة بالاحلام
ـ الا تخبريني على الاقل برأيك فى موهبتى
ـ لو قلت رأيى لقلت كل شيء ·· ان لى معك كلاما آخر
ـ امرك
ـ متى ستقرأ الرواية
ـ ساتصل بك فى مدى يومين
ـ احمد يعرف كيف يجيء بى ·· فهو يتصل بى الآن ·· حين يشبع من القراءة قل له وانا تحت امرك
ـ وهو كذلك

ليس يدرى لماذا فكر وهو فى السيارة فى قصة حبه الكبيرة · انها تلح عليه · منذ اللحظة الاولى التى عرف فيها سوسن · منذ كانا يتقدمان معا للجامعة وهى بجمالها الهادىء القوى تقف حائرة لاتدرى ماذا تفعل وكانما توسمت ان تجد عنده عونا · وقام عنها بالاجراءات · لقد كانت فى طريقها الى كلية الحقوق مثله وتبادلا واحبها حبا عنيفا جارفا حتى لقد قرر فجأة :
ـ لابد ان اتركك

ـ المفروض الا اسالك لماذا · فتركك لى امتحان وسؤالى امتحان فى هذا الامتحان ولهذا فانا أسالك لماذا
ـ لانني اكبرك واحبك واحبك
ـ تخاف من المستقبل
ـ فقر وضياع وذل وهوان · وانظر اليك فاجد انك ليس لهذا خلقت

ـ انت فى السنة الثانية من كلية الحقوق · ومن يدرى ماذا سيحدث حتى تتخرج بعد سنتين
ـ اما ماسيحدث لى فلاشك فيه · واما مايحدث لك فان امره اذن سيكون بلا شك خيرا من حياتك اذا ما ارتبطت بى
ـ ومن يدريك
ـ طبائع الاشياء
ـ الا يكفى ان تحسى وان ·· احبك
ـ يكفى لو كنا سنؤلف قصة لابيتا
ـ وماذا تريد منى
ـ اذا جاءك خاطب فلا ترفضى
ـ هذا امر
ـ هذا انتحار
ـ ومن انبأك انى اقبل لك هذا
ـ لابد ان تقبليه · ارجوك
ـ وتلح ايضا
ـ سعادتك عندى تستحق هذا الالحاح
ـ كلام عجيب لم اسمع مثله من قبل
ـ لانك عرفت الحب من كتاب سخفاء يكتبون القصص ولا يكتبون الحياة
ـ لهذا السخف تحب ان تعيش
ـ ولكن الحياة لاتحب ان تعيش به

ـ لو لم اكن ادرى مقدار حبى لك الذى يجعلنى اثق بمقدار حبك لى لظننت انك تريد ان تتخلص منى

ـ سوسن الحياة التى تنتظرني شاقة والعبء فيها ثقيل اذا تزوجتك

ـ ساعمل ولن اكون عبئا عليك
ـ انك تستحقين خيرا من هذا
ـ لماذا تضحى انت ولا اضحى انا
ـ ولو كنت استطيع الزواج بعد تخرجى لضحينا معا ولكن لا استطيع

ـ ولتيم العجلة ·
ـ ستكون حياتي جحيما وانا اعرف انك تنتظرين موعدا لا ادري متى انجازه

ـ لقد جاءني الخاطب
ـ ورفضته
ـ انا رفضته
ـ ولكن اباك لم يبلغه الرفض
ـ لم يبلغه فهو معجب به
ـ الغنى هو
ـ وهل ينظر ابى الى غير هذا
ـ اقبليه
ـ هل انت واثق

ولم يجب وانما سارع يبتعد مخفيا دمعاته · كانت قد تعودت ان تعنف به ويقبل عنفها امتنع عن الصخب مع الرفاق وامتنع عن ملذات الشباب وامتنع عن متع كثيرة يعلم ان فقره لايتيحها له · ولكن مافرضه على نفسه مع سوسن كان ابعد الجراح غورا وحين جاءت نزوة عمه كانت سوسن قد انجبت طفلها الاول ·

وحين التقى بها في الكلية بعد ان سمعت بغناه المفاجىء نظرت اليه نظرة طويلة ، ولم يجد شيئا يقوله او يفعله الا ان يغمغم

ـ لم اكن ادرى
وابتسمت في مرارة
ـ لقد اصدرت حكمك على المستقبل دون ان تقرأ صحيفةالدعوى
ـ لاتزيدي آلامي
ـ انها بعض آلامي
ـ اسعيدة انت

ـ تريد ان تطمئن على تضحيتك
ـ اريد ان اطمئن عليك
ـ لاتطمئن
ـ اتركيه
ـ وماذا اقول لابني حين يصبح في مثل عمرنا

ـ الا سبيل
ـ الاحكام التي تصدرها الحيـــاة لا يجوز اعادة النظر فيهـــا لسابقة الفصل في الدعوى

ـ بلا استئناف
ـ فات موعده
ـ لا تطعن

ـ انت لم تخطىء في تطبيق القانون ولكنك اخطأت في وجهة النظر لانقض مادام القانون قد طبق ·

ـ تسدين على المسالك
ـ انا فقط ابقى عليها مسدودة كما اردتها
ـ اهذا ما كنت اريد
ـ احببت ان ترى نفسك بطلا ·· افرح لقد اصبحته
ـ احببت ان تعيشي في سعادة
ـ هيهات اتعرف انت اين سعادتك او اين سعادتي
ـ حيل الى ·· طمست
ـ الاحكام في الحياة لاتبنى على ظنون
ـ الا ترحمين
ـ اني راحمة لاني اعرف دوافعك
ـ لعلها تغفر لى عندك

ـ لقد غفرت لك عندى منذ دمعاتك التي اخفيتها · وانصرف عنها الى الابد وهو يخفى دموعه عنها مرة أخرى ·

ما الذى جعله يذكر هذا ·· لايدرى الى نفسه حب جديد ·· ربما (حين ذهب الى البيت امسك بالرواية ونظر اليها بضع دقائق ·· قلب صفحاتها · كانت المرة الاولى التى يقرأ فيها سيناريو كان الوقت متأخرا فالقى بها الى جانبه وانصرف يهيىء نفسه الى النوم ·)

في الصباح كان اول شيء سمعه دعوى تليفونية من سهام سامى
ـ هل قرأت الرواية
ـ لم ابدأ بعد
ـ هل يمكن ان اقول لك رأيا
ـ واضح انك دعوتني من أجل هذا

ـ انت رجل مستقيم
ـ ارجو ان اكون كذلك
ـ ولكن اتحب الراى المستقيم
ـ كنت ارجو ان تكونى عرفتنى اكثر من هذا

ـ اذن اسمع
ـ انا اسمع
ـ حرام ان تضيع مالك ووقتك
ـ هواية .. انا اعبد التمثيل
ـ اعبده كما تشاء ولكنك بلا موهبة
ـ هكذا مرة واحدة

ـ اسمع أنا لست أستاذة فى المعهد ولا تسمح لى سنى أن أكون خبيرة ولكن لى حاسة وقد تدربت هذه الحاسة فأصبح لها حكم فى هذا الوحش الذى يسمى التمثيل ولى أيضـــا أصدقاء قالوا لى ما لايستطيع أحد ان يقوله لك أو مايحب الـكثيرون ان يخصوه عنك لصالحهم الخاصة انتصد عن هذا الوحش . انه فتاك يمتص فريسته ويخدعها ويسلط عليها غرورها حتى تصبح نفاية بشرية .

ـ الحكم غايه فى القسوة
ـ بعد سنوات قلائل ستدرك انه غاية فى الرحمة
ـ ولماذا تقولين لى هذا .

ـ لو كان غيرك ما قلت له شيئا . فهذا الفن يجعل بعض العاملين فيه يتحاسدون ولو كنت اعلم انك من هذا الصنف لمنعت نفسى ان اصارحك خشية ان تظن انى اخشى على مستقبل منك .
ـ ماهذا الكلام الفارغ .. انت فى مجدك هذا تخشين ناشئا

ـ قل ان يدرك ناشىء انه ناشىء وهو يبحث دائما عن سبب مثل هذه النصيحة غير ان تكون خالصة فليطمئن نفسه ان الممثلة التى بلغت من شهرة تخاف على نفسها منه ولهذا تنصحه ان يبتعد عن التمثيل .

ـ واذا تخلصت منه اليس من الطبيعى ان ياتى آخـــر يكـون صاحب موهبة حقا
ـ الفاشلون يعمون عن كل الحقـائق فلايدركون مثلا ان لـكل

نجم فى التمثيل فترة . وان النجم لابد له من نجـوم حوله حتى يؤكدوا وجوده .. وكل هذا يغيب عن تفكيرهم ليؤكدوا لنفسـهم انهم اصحاب مواهب .

ـ وما رايك فى الانتاج السينمائى
ـ مربح جدا لمن يفهمه وخراب للهواة امثالك
ـ ولكنك مع ذلك لم تجيبى على سؤالى
ـ لقد نسيته
ـ لماذا تقولين هذا لى
ـ اخشى على نفسى منك
ـ هذه فهمناها وماذا ايضا

ـ اخشى عليك من نفسك

ـ هل تقدمين نصيحتك لاى انسان تخشين عليه من نفسه

ـ لا شأن لك بهذا

@@@

انهم يحتفلون اليوم بعيد ميلاده الستين • تحتفل به ابنته اخلاص وابنه فتوح ويحتفل ايضا به زوج ابنته سعيد مجدى المحامي • ويحتفل ايضا ابناء ابنته الهام وبهجت • والجميع يلتفون حول الممثلة السابقة والجدة الحالية سهام سامى •

سنوات مرت وسنوات وقطع من العمر طريقا طويلا ومن النجاح طريقا اطول فلم يكن امامه الا أن يعود الى المحاماة وكان قد تعود الجد الذى ارغم عليه فى اول حياته فنجح فيها نجاحا ساحقا •

واصبحت شهرته تشمل العالم العربى اجمع بل انه تولى قضايا دولية خارج العالم العربى •

ولكن العجيب انه مع كل هذا النجاح بقى له شىء هام من هوايته القديمة فهو يمثل فى كل تصرف يعمله • يمثل فى المحكمة •• يمثل مع ابنائه •• يمثل مع احفاده والغريب • الغريب انه يمثل مع الممثلة الشهيرة زوجته وكانوا جميعا يضحكون فيما بينهم على طريقة تمثيله ويزدادون له حبا من اجلها • لم تمر به هوايته عبثا

لقد بقى منها شىء •• بقى منها شىء كثير •

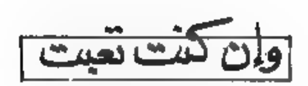

ـ لا ارى اى فائدة فى التجديف
ـ ومع ذلك لابد أن تجدف ٠
ـ الامواج تتصرف بالقارب غير عابئة بهذا التجديف
ـ ومع ذلك لابد ان اجدف
ـ لماذا ؟
ـ هذا عمل
ـ وان كان بلا فائدة
ـ ليس هناك عمل بلا فائدة
ـ أتراك توجه القارب بتجديفك هذا ؟
ـ انا لا ادرى ولكن لابد أن اجدف
ـ ماذا كنا تحت رحمة الامواج ؟
ـ ولكن لا يستوى من يجدف ومن لا يجدف
ـ كيف عرفت ؟
ـ انظرى حولك الجميع يجدفون
ـ اترى الجميع
ـ ارى من حولى
ـ ربما كان هناك آخرون لا يجدفون
ـ أولئك لا شك قد توقفوا فى الطريق
ـ انت تستنتج
ـ بل انا اعرف
ـ كيف عرفت
ـ وعرفت منى
ـ تقصد هذا الذى يقوله لنا الآخرون
ـ نعم
ـ أتصدقه ؟

ـ ولماذا أكذبه
ـ أنا لا أصدق شيئا لا أراه
ـ ومع ذلك فانت تعرفين ان ابنك يجدف هو الآخر مع زوجته، وأنت وابنتك فى قارب زوجها الذى يجدف هو بها ويطفيه.
ـ ما شأن هذا بما قلت ؟
ـ أنت لا ترينهم دائما ومع ذلك تعرفين انهم موجودون ؟
ـ موجودن طبعا
ـ أن تصدقين ما تريدين أن تصدقيه وترفضين ما لا تحبين
ـ ربما كان تجديفهم عبثا هم أيضا
ـ ولكن ولكن لابد أن نجدف

ربما اذا توقفت عن التجديف بعض الشىء يتواثب السمك الى قاربنا

ـ بل السمك لا يثب انما ينبغى أن نقتنصه بالشباك
ـ وأنت تعلمين ذلك
ـ ومع ذلك فهو يثب أحيانا
ـ الاستثناء ليس القاعدة
ـ الا تذكر السمكتين اللتين وثبتا معا الى قاربنا دون جهد ٠
ـ مرة
ـ ولكن السمك يثب الى قوارب أخرى أفواجا
ـ ومع ذلك فاصحاب هذه القوارب يصيدون بالشبك هم أيضا
ـ هواة متاعب
ـ يفعلون ما يجب أن يفعلوا
ـ لو كنت مكانها لاكتفيت بالسمك الذى يثب الى القارب ٠
ـ من يدرى ربما اذا توقفوا عن الصيد توقف السمك عن الوثوب اليهم ٠
ـ فليجربوا
ـ ليس لدينا وقت للتجارب
ـ من تقصد ؟
ـ نحن جميعا ٠٠ جميع الذين يجدفون يجربون أن يتوقفوا
ـ ما الذى يحيفهم

ـ الذي يخيفنا
ـ وما الذي يخيفنا
ـ الذي يخيفهم
ـ وما آخرة هذا التجديف
ـ اظن اننا سيأتي علينا وقت ونستريح
ـ من أين عرفت
ـ لا شيء يظل كما هو
ـ طبعا
ـ كانتا ضعيفتين أول الامر ثم أخذتا تشتدان شيئا فشيئا ثم أخذتا تضعفان شيئا فشيئا .
ـ فكف عن التجديف اذن .
ـ سيأتي وقت أكف فيه على رغم انني لا تستعجلي .
ـ لقد جئت الى قاربك وذراعاك قويتان .
ـ أعرف ذلك
ـ لم تشكي الى ضعفهما الا الآن
ـ ومع ذلك فقد عرفت انهما ضعفتا .
ـ نعم
ـ ولم تقولي ؟
ـ كنت ايضا احس بالضعف
ـ اعرف ذلك
ـ ولم تقل
ـ الاشياء البديهية لا داعي لذكرها
ـ ولكنا مع ذلك نقولها
ـ ان تجنبنا البديهيات في كلامنا مازاد كلامنا عن جملة كل سنة ..
ـ اخاف على ابنتي
ـ لماذا
ـ انها تجدف مع زوجها
ـ واي غرابة في ذلك
ـ لم نعودها على ذلك

ـ كنا مخطئين
ـ أخشى أن تتعب
ـ ولماذا لا تخافين على زوجة ابنك
ـ ان من واجبها أن تجدف مع زوجها
ـ اليس هو نفس الواجب بالنسبة لابنتك
ـ صحتها ضعيفة
ـ ارى صحتها احسن من صحة زوجة ابنك
ـ أيامنا لم نكن نجدف
ـ الايام تتغير .. أين نحن وأين هم
ـ نعم .. بيننا مسافة بعيدة
ـ والمسافة بيننا وبين آبائنا أبعد
ـ بل يخيل الى اننا نقترب منهم
ـ ليس الى الحد الذي تتصورين
ـ الى أين نحن ذاهبان
ـ الى أبي وأبيك وأمي وأمك
ـ منذ زمن بعيد لم نرهما
ـ كلما اقتربنا اليهما زاد شوقنا لرؤيتهما
ـ تعبت
ـ فتوقف
ـ لا أستطيع
ـ ألا ترى الموج يسير بنا حتى وان لم نجدف
ـ لابد ان اساعده
ـ يخيل اليك انك تساعده
ـ بل أعرف انني أساعده .. على الاقل حين أجدف أحس انني اتقدم .
ـ وهم
ـ بل الوهم ان اتوقف واترك للموج كل شيء .
ـ ان كل شيء في يده
ـ ولكنه مع ذلك يريدني ان اجدف
ـ أقال لك هذا

ـ كثيرا
ـ أبيسك وبينه حديث
ـ لا تسمعينه
ـ حسبت أنني وحدى التى أكلمه
ـ وإنما نظن أننا ننفرد بأشياء ‥ غرور
ـ لابد منه
ـ لماذا
ـ لنتحمل الرحلة الطويلة
ـ ألا تحتمل الا بالغرور
ـ وبأشياء أخرى
ـ مثل ماذا
ـ مثل التحديف
ـ وماذا ؟
ـ وهذا الكلام الفارغ
ـ ولا أدرى ‥ ربما أيضا بشعورنا أننا لابد أن نحتمل
ـ وإن لم
ـ لا يهم ‥ سواء عند الموج أن محتمل أو لا نحتمل فالرحلة ستنتهى
ـ أعلم ‥ أتذكر متى بدأنا الرحلة
ـ لم أعد أذكر شيئا
ـ ولا أنا
ـ هذا حسن
ـ لماذا
ـ ربما معناه أننا اقتربنا
ـ أتريدنا أن نقترب
ـ لا
ـ ولا أنا
ـ مع الله تصبحت
ـ مع أمى تصبحت

حكاية رجل بخيل

نشأ كما ينشأ أمثاله جميعا من أبناء الاثرياء فى الريف . فلم يكن العلم ذا شأن فى هذا الحين من الزمان فكان يحسب الطفل من هؤلاء أن يختم القرآن فى الكتاب وأن يتعلم أصول الحساب وقواعده فان كان ذا ميل شديد للدراسة أرسله أبوه ليكمل تعليمه فى القاهرة فان لم يكن فهو مقيم بجانب أبيه فى القرية يعين أباه فى شئون الحقل ويصبح من أعيان قريته ، فان كان صاحب عقلية راجحة وكلام منمق . واذا كان كريما يحسن استقبال الناس ولقاءهم أصبح من أعيان المركز . فان كان واسع الثراء صاحب شخصية يمكن ان تكون مرموقة أصبح من أعيان المديرية أو من أعيان البلاد جميعا اذا رشح نفسه فى مجلس شورى القوانين الذى أصبح بعد ذلك مجلس النواب أو مجلس الشيوخ .

وهكذا اكتفى عبد القادر فهمى بأن يختم القرآن فى قريته الهدارة من أعمال مديرية بنى سويف بالصعيد كما تعلم قواعد المحاسبات على يد ميخائيل افندى كاتب دائرة والده .

وكان عبد القادر يجد فى مكتبة أبيه بعض الكتب القديمة فقرأها ابناء القرية المتعلم منهم وغير المتعلم فأصبح يحسن الانصات .

ولقد اعتمد عليه أبوه فى أعمال الحقل والمحاسبة فكان يقوم بعمله خير قيام . فعلى الرغم من سعة الارض وكثرة المحاسبات كان عبد القادر على علم بكل ناحية من شئون الفدادين التى تبلغ الفى فدان . وما لبث أن أصبح هو وحده القائم بأمر الارض وكان أبوه يكتفى بأن يأخذ الريع آخر العام . وكان أبوه يعطيه راتبا شهريا خمسين جنيها . ولم تمر الا سنوات أربع حتى فوجىء الاب بابنه يشترى مائة فدان .

ـ من أين دفعت الثمن ؟

ـ من مرتبى .
ـ الا تصرف منه شيئا ؟
ـ ولماذا أصرف .
ـ الا تحتاج الى شىء ؟
ـ الاكل فى البيت .
ـ والملبس ؟
ـ تشتريه أنت فى كل عام .
ـ ولكن مرتبك لا يكفى لشراء الارض ؟
ـ لقد اتفقت مع البائع على أن أسدد له خمسين جنيها كل شهر .
ـ وأنت .
ـ ان سألتك شيئا لا تعطه .

ولم يعرف الاب أن كان يفرح بابنه هذا المدبر أم يحزن ولكنه تركه وشأنه وان كان قد أزمع فى نفسه أن يعجل بزواجه فقد حزر انه لو تركه دون زواج ما تزوج أبدا وخشى فهمى بك عبد المتعال أن ينقطع دربته لتدبير ابنه ولا يحب أن يقول لنفسه نتيجة لبخل ابنه .

ـ اريد أن ازوجك .
ـ كم سيكلفك الزواج ؟
ـ ليكلف ما يكلف .
ـ أعطنى تكاليف الزواج ولا تشغل أنت نفسك .
ـ هذا ما أخشاه .. انك ابنى الوحيد فلو تركتك وشأنك ما تزوجت أبدا .
ـ أنت مصمم اذن ؟
ـ كل التصميم .
ـ أمرك .

واختار الاب العروس فتاة من أسرة عريقة بالصعيد وخطبها لابنه دون أن يراها هو أو ابنه فقد كانوا فى ذلك الحين يتزوجون من الاسرة العريقة ولا يهم أن تكون الزوجة جميلة أو غير جميلة . أما عبد القادر فقد ارتاح للزواج حين علم أن أبا زوجته يملك الفى فدان وليس للعروس الا أخ واحد ولم يكن محتاجا لعلمه الواسع

بالوراثة ليعرف أنها سترث عن أبيها · آجلا أو عاجلا ما يقرب من السبعمائة فدان فقد كانت أمها متو[illegible] بيت فخم بالقاهرة · وعد الأب أن يكون من نصيب [illegible] لأنه أعد قصرا آخر بالقاهرة أيضا ·

وتزوج عبد القادر وعاش هو وزوجته نفيسة في بيت أبيه وكانا يذهبان أحيانا الى بيت أبيها بالقاهرة · وكان الأب [illegible] تدبير ابنه فكان هو الذي يعد لسفرهما اذا سافرا وكان يعطي نفيسة مبلغا من المال لتشتري به ما تشاء من القاهرة خوفا من تدبير ابنه الذي لا يحب أن يسميه بخلا ـ اذا هو أعطاه المال دون زوجته ·

وحتى ذلك الحين لم تكن مواهب عبد القادر قد تكشفت فأبوه هو الذي ينفق عليه وعلى زوجته ولكن نفيسة لاحظت على زوجها عدم عنايته بملبسه فكانت هي التي تعنى بها ، كما لاحظت أنه لا يعنى بنظافة جسمه ، فكانت تصر أن تفرض عليه النظافة فرضا ويخضع هو صاغرا · فقد كان ذهنه جميعا منصرفا الى القيام بشأن الارض وتدبير مبالغ لشراء أرض أخرى ·

ولم يطل الامر بالزوجة فقد توفي أبو الزوجة ورأت عبد القادر وجوده الرائع في المحافظة على حقوق زوجته فاستخلصها كاملة غير منقوصة وأراد أن يبيع بيت القاهرة ليشتري بثمنه أرضا ولكن زوجته التي بدأت ترى بوادر حقيقته المرة أصرت أن يبقى لها بيت القاهرة ·

ـ لا تنس أننا ننتظر ابننا وسيحتاج الى تعليم ولن نبقى في القرية طول عمرنا ·

واقتنع · أو هو لم يكن يملك الا أن يقتنع فقد أصرت الزوجة على موقفها ·

ـ وشيء آخر ·
ـ ماذا أيضا ·
ـ أريد مائة جنيه شهريا من ريع أرضي ·
ـ ماذا ؟
ـ هذا خير من أن أكتب توكيلا لأخي سلامة ليدير هو الارض ·

وكأنما هددته بالموت بل لعل الموت بالنسبة اليه أهون من هذا التهديد ·

ـ ولك هذا أتريدين شيئا بعد ذلك ؟
ـ اعمل بعد ذلك ما تريد ·

فقد ضمنت هي أن تعيش ولا شأن لها بزوجها بعد ذلك ·· فقد كان كثير الحديث عن رغبته في التملك وكانت تخشى أن تجوع هي وأولادها في سبيل أن يزيد عبد القادر من أملاكه ·

وأنجبت ابنها الاول ورآه فهمي بك واطمأن على أن ذريته باقية ثم مات ·

مات وانفرد عبد القادر بالارض وبدأت مواهبه تظهر على حقيقتها ·

ـ مصاريف البيت يا عبد القادر ·
ـ والمائة جنيه التي تأخذينها ؟
ـ هذا من مالي ·
ـ وهل لك مال ولي مال ؟
ـ اسمع اما أن تدفع خمسين جنيها في الشهر مصاريف البيت أو ···
ـ لا تكمل ···
ـ اذن ···
ـ سأخبرهم في الدائرة أن يصرفوا لك خمسين جنيها كل شهر ·
ـ ولماذا لا تعطيني أنت ؟
ـ وأنت ما شأنك ·
ـ خبايا البيوت لا يجوز أن تعرفها الدائرة ·
ـ انت تأخذين هذا المبلغ رغم أنفي ويدي لا تطاوعني أن أدفعه ·
ـ أنت حر ·

وأصبحت الدائرة تعطي نفيسة خمسين جنيها فوق المائة وانطلق عبد القادر يبحث عن الارض رحلة طويلة يقطعها كل يوم يمر بالارض ويستخلص كل مليم يمكن أن يستخلصه كل ما يهمه ألا يدفع وأن يجمع ·

حين مات ميخائيل كان لابد له أن يعين كاتبا جديدا ·

ـ كم تأخذ يا ابني في الشهر ؟

ـ كم تدفع ؟
ـ ثلاثة جنيهات .
ـ وهل هذا معقول ؟
ـ سيسرق أنت عشرة فليكن مرتبك ثلاثة .

المهم الا يدفع . وقد كان يدرك أن الكاتب سيسرق على كل حال مهما يغدق عليه في المرتب فليسرقه هو من المرتب وليسرق الكاتب بعد ذلك .

كانت الاموال السائلة التى تركها أبوه تكفي لشراء الف فدان فاشتراها واصبحت أملاكه في بني سويف ثلاثة آلاف فدان وأحد نفسه الا ينفق هو على نفسه شيئا وقد كان رداؤه رداء المشايخ فهو يلبس العمة والجبة والقفطان جريا على عادة اعيان الصعيد . وقد كان أبوه هو الذى يشترى له الملابس فلما مات أبوه أصبح لايشترى شيئا وقد جاهدت نفيسة جهدا شاقا أن تحمله يشترى بعض الملابس مكان جوابه الوحيد والدائم .

ـ لك المائة والخمسون جنيها وليس لك بعد ذلك شيء .

وأصبح الاولاد ثلاثة وهو لا شأن له بهم . وضاقت نفيسة بالقرية وبزوجها .

ـ أريد أن أذهب الى القاهرة .
ـ وأنا .
ـ بت حر .
ـ لن تأخذى مليما واحدا أكثر مما تأخذين .
ـ لا اريد شيئا فقط أريد أن اذهب الى القاهرة .

ومنذ ذلك الحين أصبحت تسليه عبد القادر اذا خلا به الليل أن يفتش عن القمل في ملابسه ويقتله وأن يرتق هذه الملابس حتى لا تبين عما تحتها من قذارة أو حتى يسلى نفسه عما كان يهمه أن يبقى منه القدر .

وفي يوم اشترى أرضا وكان لابد أن يسجلها بالقاهرة فذهب الى بيت زوجته وصعد اليها فى الطابق الاعلى ورأت هيئته الجديدة فصرخت .

ـ ماذا بك ؟

ـ ماذا .
ـ ما هذا الذي تلبسه ؟
ـ ملابس .
ـ الا يغسلها لك أحد .
ـ لقد تركتنى .
ـ عشرة قروش لاى فلاحة تغسل ملابسك .
ـ أنت لا شأن لك بي .
ـ الى هنا ولى شأن .. يامحمد .. ياحسين .

وجاء الخادمان ...

ـ هذا الشيخ لا يصعد الى الطابق الاعلى الا بعد أن يستحم بالطابق الاسفل وتغير له ملابسه .

ـ لن اشترى أى ملابس .
ـ سأشتريها انا .

ومنذ ذلك اليوم أصبح عبد القادر لا يستحم ولا يغير ملابسه الا اذا زار بيته في القاهرة وقليلا قليلا ما كان يزور بيته فى القاهرة .

يشترى ارضا بالمنصورة

كان لابد ان يكون لعبد القادر أصدقاء ... وقد كان له أصدقاء فعلا ... وقد أحسن اختيارهم انهم السماسرة وقد كان مع السماسرة أمينا فى المعاملة لا حبا فى الامانة ولكن حبا فى عقد الصفقات الرابحة . وقد كان عبد القادر يعطى السمسار حقه كاملا غير منقوص وغير زائد أيضا بطبيعة الحال . وقد دله سمسار على صفقة مع رجل المانى يملك أرضا بعزبة قريبة من المنصورة كان الالمانى مهتما بها غاية الاهتمام فقد بنى بها بيتا ارضيته من الخشب الباركيه وبنى بها بيتا آخر لناظر العزبة وأجرى الماء فيها داخل قنوات من الاسمنت المسلح وبها ترولى يمر على كل شبر من الارض وقد كانت العزبة تستطيع أن تجد مشتريا خيرا من عبد القادر . فعبد القادر لا يعنى بالبيت المنشأ . ولا يهمه فى شيء كيف يجرى الماء ولا يهمه أيضا أن يلف العزبة راكبا الترولى فان قدميه تغنيانه عن الترولى .

ولكن استفاد من وجود هذه الأشياء ان صاحب العزبة كان مهتما بها والواقع ان في اطلاقنا على الارض كلمة عزبة ظلما كبيرا لها فهي تفتيش واسع مساحته الف فدان ، والفرصة التي اتيحت لعبدالقادر ان صاحب التفتيش يريد أن يبيعه في أسرع وقت وأن يحصل على ثمن كاملا .

فجيء قصد السمسار الى عبد القادر قصد اليه وهو يعلم انه يكاد يكون الشخص الوحيد الذي يجد معه المبلغ كاملا .

كان الفدان يساوي في ذلك الحين مائتي جنيه ولكن عبد القادر الذي أدرك الموقف استطاع أن يشتري الفدان بمائة جنيه والبائع لم يجد حيلة للمناقشـــة فاين يجد رجلا يملك مائتي ألف جنيه حاضرة ويريد أن يشتري .ربما لعله كان يجد له لو كان يملك فسحة من الوقت ولكن لا وقت . وهكذا انقض عبد القادر على الصـــفقة انقضاض النسر . وسافر في ســـيارة المالك الالماني وطاف بالارض طوافا سريعا ولم يلق أي اهتمام بالبيتين ولا بالترولي ولا بقنوات الماء . واستطاع أن يخفي فرحه باتساع الارض فقد كان عبد القادر يملك وجها فريدا في نوعه فان رأيته خيل اليك انه يلبس على وجهه قناعا من المطـــاط الرقيق لا شيء فيه ملامحه فرحة ولا نامة سرور ولا علامة حزن وانما هو وجه بلا أي تعبير ولولا انزلاقات عينيه التي لا تنقطع عن حواسهما لتأكد لديك أنه يصنع هذا القناع اللهم الا اذا أمسكت بوجهه لتتأكد أنه بشرة آدمية لا صناعة فيها .. وما اظنك ستفعل فانه بملابسه التي توحي اليك بمقدار قذارته يمنعك ان كنت ممن يحبون النظافة أن تفعل ولهذا لم يكن غريبا على أحد عظماء الصعيد ما كان يفعله مع عبد القادر كلما ذهب لزيارته فقد كان يجلس في آخر الحجرة وما يكاد يلوح عبد القادر عند الباب حتى يعاجله عظيم الصعيد بقوله .

- عندك وقل ما تريد .

ولم يكن عبد القادر يغضب لكرامته فمسالة الكرامة عنده ليست ذات بال . كان يقف ويقول ما يريد ويقضيه له العظيم أو لا يقضيه حسب الموضوع المطروح .

وكان عبد القادر يسخر من العظيم في نفســـه فهو يملك آلاف

الافدنة بينما العظيم مدين مع غناه لانه كان ينفق أكثر من ايراده على وجاهته .

وهكذا طاف عبد القادر بالتفتيش وعاد الى القاهرة . واياك أن تظن ان معنى عودته الى القاهرة أن يعود الى بيته . انه كان يبيت في لوكاندة بسيدنا الحسين تؤجر فيها الغرفة بعشرة قروش ، وكان يستأجر الغرفة كاملة لمبيته ، وكان يجد هذا أوفر من ذهابه الى البيت فقد تطالبه زوجته بمال .. انه لن يعطيها ولكن المطالبة نفسها لا يطيقها ثم هو سيواجه على كل حال بهذا الحمام والملابس وقد كان لا يحب أن يلبس هـــذه الملابس النظيفة لانها قد توحي للناس بغناه وهـــذا في ذاته سبب كاف أن يبقي على نفسه هذه الملابس المهلهلة .. ثم بماذا سيتسلى ان لبس النظيف من الثياب وتركه القمل الذي يجمعه آخر الليل اذا خلا به الليل .

عاد اذن الى القاهرة وأصبح الصباح فكان هو يستقبل اشراق الشمس مع أن موعده مع البائع كان في الرابعة من بعد الظهر .. نزل من اللوكاندة فافطر وكان افطـــاره رغيفا من العيش وبنصف قرش طعمية ثم دلف الى مسجد الحسين فتوضأ وصلى الصبح . وظل جالسا بالمسجد لا يصنع شـــيئا حتى اذا اقترب موعد صلاة الظهر قام قاصدا مسجد السيدة زينب ليصلي الظهر . وهناك وجد متصدقا يوزع العيش والفول النابت على فقراء المسجد .. الحمد لله لقد أتانا غداؤنا .. ولم يكن الموزع ليجد أصلح من عبد القادر في مظهره ليتصدق عليه مما يتصـــدق به على الفقراء . وهكذا تناول عبد القادر غداءه بل واحد أيضا خمسة تعريفة كانت ضمن النذر الذي يوزعه المتصدق . وفلسفته بسيطة لا تحتاج الى تفكير .. خير جاء لي من عند ربنا ، هل أرده .

وصلى بالسيدة وانتظر حتى الموعد الذي يلائمه الترجل الى شارع مراد حيث موعـــده مع البـــائع الالمـــاني .. وقام الى موعده واشترى الارض .

(أول زيارة لتسلم الارض)

عبد القادر لا يعرف من درجات القطار الا الدرجة الثالثة وأظن انها تكون سخافة لو حاولنا أن نسأله عن الدرجتين الاخريين ..

ولكنه يجيب على كل حال .. ألا تصل الدرجات الثلاث في وقت واحد . في هذه الليلة لم يشأ أن يبيت في اللوكاندة فقد حزم أمره أن يأخذ القطار الاول الى المنصورة فما معنى أن يعطى عشرة قروش في اللوكاندة فلماذا اذن خلقت هذه الارائك المنشورة في محطة مصر فان لذعه البرد فالبركة في الجبة يغطى بها وينام ليلته في المحطة ويوفر ثمن اللوكاندة وأجرة تذكرة الترام من الحسين الى المحطة .. فوائد كثيرة يجنيها من بياته على هذه الاريكة وقد فعل .. ومن المنصورة استقل قطارا آخر أنزله في أقرب محطة من التفتيش .. وأقرب محطة من التفتيش تبعد عنه ثلاثة كيلو مترات يستطيع ان يمشيها . فقد أخذ درسا من صـــاحب حمار كان يحاول يوما أن يستأجره . كان ذاهبا الى احد تفاتيشه ونزل باقرب محطة من التفتيش وكانت المسافة بعيدة بعض الشيء خمسة كيلو ووجد فلاحا ومعه حمار فركب الحمار وحين استقر عليه نظر الى الفلاح .

ــ كم تأخذ لتوصلني الى التفتيش ؟

وكان الفلاح يعرفه ويعرف سمعته العريضة .

ــ خمسة قروش .

ــ صاغ .

ــ كبيرة .

ــ اسمع سادفع لك ثلاثة تعريفة .

ويبدو أن الفلاح لم يكن معجبا به ولا بما يسمعه عنه فاذا هو يدفعه دفعة قوية تلقيه عن ظهر الحمار ليصبح طريحا على الارض ويقول له .

ــ والله لا اوصلك حتى لو دفعت خمسين قرشا .

ومنذ ذلك تعلم الا يستأجر حمارا الا عند الضرورة القصوى . وقد كان يستطيع في يومه هذا الذي يزورهم فيه لاول مرة أن يكلمهم بالتليفون فقد كان بالتفتيش تليفون وكان يستطيع ايضـــا ان يرسل لهم تلغرافا ليستظره بالحنطور الذي كان ضمن ما اشـــتراه في التفتيش ولكن المكالمة التليفونية او التلغراف كان لا يمكن ان تكون مجانا أما المشي فالى جانب أنه رياضة فهو ايضا لا يكلف شيئا .

كان القائم بشأن التفتيش عمدة الناحية وكان رجلا وجيها يحب أن يعيش في رغد عيشة كريمة لايبخل فيها فهو محترم في منطقته يحظى بتقدير الفلاحين وأعيان الناحية .

ولم يكن المفتش حاضرا في المرة الاولى التي جاء فيها عبد القادر ليطوف بالارض ولكنه طبعا عرف أنباء الزيارة جميعا ولم ينس من قصوا عليه هذه الانباء أن يصفوا له المشتري الجديد . ولم يكن محتاجا لهذا الوصف فقد كان رجل مجتمع وكانت أنباء عبد القادر او معظمها قد وصلته .

كان المفتش جالسا مع الكاتب والخولي وبعض الفلاحين حين أقبل عليهم عبد القادر في ملابسه الرثة .

ــ السلام عليكم .

ودون ريث تفكير قال المفتش .

ــ يعطيك ربنا يا عم الشيخ .

ولم تهتز كرامة عبد القادر فهي قد عودت هذه النظرة ولم يعد صاحبها يهتم بمثل هـــذه التفاهات للناس أن يقولوا وأن يعملوا ما يشاءون وله هو أن يتمتع بمتعاته الخاصة كما يشاء .

ــ أنا عبد القادر فهمي .

وانتفض الجميع وسارع المفتش الذي كان يغمره أحد الفلاحين في يده بعد فوات الوقت .

ــ لا مؤاخذة يا سعادة البك الل ما يعرفك يجهلك .

ــ لا مؤاخذة ولا يحزنون فيه كيف الحال .

وجلس وطلب دفاتر الحسابات واســـتأذن المفتش لحظة ونادى أحد الفلاحين وانتحى به ناحية .

ــ اذهب الى البيت واطلب اليهم ان يذبحـــوا اوزة ويحضروا الغـــداء .

ــ الله لا يستحق؟ .

ــ يا جدع اخرس انه صاحب التفتيش .

ــ خسارة فيه .

ــ أجر ولا تتلكع .

ويذهب الرسول الى البيت ويعود المفتش الى مجلســـه مع عبد

القادر ويبدأ عبد القادر في مراجعة الحسابات وينتهي النقاش بأن يطلب منه المفتش مائة وخمسين جنيها قيمة اصـــلاحات زراعية واستهول المبلغ ·

ـ ولكن الزراعة محتاجة لهذه الادوات ·

فظل يناقشهم ويعنف بهم في النقاش حتى نزل بالمبلغ الى ثلاثين جنيهـــا ·

وحينئذ كان الغداء قد أعد ووجد عبد القادر نفسه أمام وليمة هائلة وقد كان أكولا مع أن فلسفته لا تتفق مع هـــذه الصفة فيه فقد قال يوما لاحد الكبراء ·

ـ يا باشا يقولون عني بخيل ·

فقال الباشا

ـ والله يا شيخ عبد القادر نعم يقولون هذا ·

ـ هذا غير صحيح ·

ـ أتظن ذلك ؟

ـ البخيل هو الذى تشتهي نفسه الشيء ولا يشتريه اما انا فنفسي لا تشتهي شيئا وقد كانت هذه الفلسفة جديرة أن تجعله غير أكول ولكنه ـ والشهادة لله ـ في الولائم ذو فن عريض فهو عليم بالمأكولات يحسن تذوقها ويتناول منها مقادير لا يمكن أن تتناسب مع جسمه الضئيل الهزيل ·

فحين وجد نفسه أمام هذه الوليمة التي اعدها له المفتش مثل وسمحت نفسه وهم أن يمد يده ولكنه فجأة تذكر اشياء على جانب كبير من الاهمية · انه في تفتيشه ولعل هذه الوليمة تظهر له في المرة القادمة بدفاتر الحســـــابات · وثنى يده الممدودة ونظر الى المفتش ·

ـ العزومة دى على حسابي أم على حسابكم ·

والواقع أن المفتش كان قد أعد الوليمة على حسابه الخاص ولم يفكر مطلقا أن يحاسب الشيخ عبد القادر عليها ولكنه امام هـــذا السؤال تملكه غيظ شديد فنظر اليه في ضيق وضجر وقال :

ـ على حسابك ·

ـ ومن قال لكم أن معدتي تحتمل هذا الاكل ؟

ـ والله لا نعرف طبعك ·

ـ لا ، انا لا آكل الا اللبن الرائب ·

ـ أمرك ·

واحضروا له اللبن الرائب وراحوا هم يأكلون الوليمـــة في نعيم مقيم · وحين انتهى الغداء هم الشيخ عبد القادر بالقيام ·

ـ الحق القطار ·

ـ أمرك ولكنك لم تدفع الثلاثين جنيها ·

ـ آه نسيت هذه ·

واخرج من جيبه عشرة جنيهات تناولها المفتش صامتا معتقدا أنه سيرســـل له باقي المبلغ وأمر بتجهيز العربة واســـتقلها الشيخ عبد القادر وركب معه المفتش وفي منتصف الطريق فاجأه الشيخ عبد القادر بأن أخرج من جيبه عشرة جنيهات أخرى وأعطاها له فقال في نفسه لعله كان ناســـيا أن معه عشرة أخرى وحين وصلوا الى المحطة فاجأه بأن أعطاه العشرة الثالثة وهو يقول :

ـ صعب أن أخرج ثلاثين جنيها دفعة واحدة ·

(وهو وزوجته)

فمالت به زوجته فهو يأبى أن يزيد ما يعطيه لها عن المائة وخمسين جنيها وقد أصبح الاولاد خمسة، ثلاثة أولاد وبنتين والاولاد يتعلمون في الجامعة وهي تريدهم أن يلبسوا أحسن الثياب ما دام أبوهم قادرا والبنتان اقتربتا من سن الزواج ولن يقدم أحـــد على الزواج باحداهما وسمعة أبيهمـــا تملأ الآفاق · وقد انقطع عبد القادر عن البيت تماما منذ عرضت عليه زوجته هذا الحديث · فهو طبعا لن يزيد مرتبهـــا وهو يعلم أنها قد تهدده بنزع الارض من تحت يده فوجد أن خير ما يفعله أن ينقطع تماما عن البيت · ولكن السيدة زوجته لم تسكت فقد أرسلت في طلب أخيها سلام وسرعان ما جاء كان هو أيضا يكاد يموت من الخجل مما يسمعه عن زوج أخته وقد كان يتوق أن يذهب الى أخته ليحادثها في أمره ولكنه كان يمنع نفسه خشية أن يتدخل من تلقاء نفسه بين الزوجين · فحين أرسلت اليه أخته وافقت الدعوة هوى في نفسه ·

ـ ماذا تصنع يا أخي ؟

— يا اختى ان لم يكن أصيلا فيجب أن تكون نحن أصلاء ·
— أنت لا تحتاج الى أن أحدثك عن شيء ·
— اخباره تملأ الدنيا ويتندر بها الناس فى كل مكان ·
— يا للفضيحة ·
— فى الصعيد فى القاهرة فى المنصورة ·
— المصيبة ماذا أصنع مع الاولاد ؟
— أنا تحت امرك ·
— تحت امرى أيكون أبوهم بهذا الثراء ونأخذ منك مالا ·
— ترى ماذا تريدينني ان أفعل ؟
— المصيبة الكبرى البنتان ·· لقد اشرفتا على سن الزواج ·
— اسمعى انا أستطيع ان اصنع الكثير ·
— أصنع ·
— قبل أى شيء ترسل اليه أتعرفين طريقه ؟
— أعرف الذى يعرف طريقه ·
— من ؟
— الحاج احمد هلال من المنصورة ·
— من هــــذا ؟
— سمسار يلازمه اغلب الوقت وقد طلبته مرة فجاء ورجوته أن يكلمـــه ·
— وبماذا أجاب ؟
— عاد الرجل الطيب خجلان لا يعرف ماذا يقول فقد رفض اى حديث فى الموضوع ·
— ولماذا يلازمه ؟
— والله لا أدرى ولكن يبدو أنه ينتفع منه فهو سمسار وهو الذى يتولى له بيع المحصول كما يعرض عليه شراء بعض الاراضى كلما وجد فرصة المهم أنه يلازمه اغلب وقته ·
— هل تستطيعين ان تستدعى الحاج احمد هلال ؟
— ان له محل اقامة على الاقل ·
— الا تقولين أنه يلازمه ؟
— نعم ولكنه يبيت كل ليلة فى بيته ما لم يكن معه فى القاهرة ·

— اتعرفين اين يبيت زوجك ان كان فى القاهرة ؟
— فى سيدنا الحسين ·
— فى اى لوكاندة ؟
— وكيف أعرف ؟
— يبدو انه لاسبيل الا الحاج أحمد هلال فليس من المعقول أن تطوف بلوكاندات الحسين تسألهم عن عبد القادر ·
— هل معك نمرة الحاج احمد هلال ؟
— اتيت بها من دفتر المنصورة وقد طلبته منها فى المرة الاولى ·
وجاء الحاج احمد هلال وقال سلامة
— أيرضيك ما يصنعه عبد القادر ؟
— انه لا يرضى أحدا ·
— انت صديقه ؟
— اولا يجب ان تعرف سعادتك انه لا يجب ان يكون له صديق ·
— وأنت ؟
— أنا أعمل معه ·
— مجرد عمل ·
— أنا سمسار وهو غنى يبيع محصولا ويشترى أطيانا ·
— فلست صديقا ·
— صديق ·· اسمع ·
— ماذا ؟
— سأروى لك حكايتين ·
— حكايات ؟
— لتعرف ان كان يمكن لمثله أن يكون له صديق ·
— انك تلازمه ·
— وتلك هى المصيبة ·· فى يوم اجتمعنا حوله ثلاثة سماسرة فى قهوة حقيرة بالمنصورة ننتظر اقفال البورصة لنرابط على الاقفال ويقدم كل منا العلاوة المناسبة لنشترى قطنه ·· أتعرف كم قنطارا كان يبيعها فى ذلك اليوم ·
— كثير طبعا ·
— الفين قنطار ·

ـ عظيم ·
ـ تأخر الاقفال ·
ـ هيـــه ·
ـ جعنا ·· الساعة قاربت الثالثة ·
ـ لم يفكر طبعا أن يدعوكم للغداء ·
ـ الى منتظر ·

ـ نحن فى قهوة حقيرة الغداء لى ككلفه أكثر من خمسة قروش اربعة ارغفة بقرشين صاغ وبثلاثة صاغ طعمية · كانت كافية ونحن نعرف أنه بخيل ولم تكن ننتظر أكثر من ذلك ·
ـ معقول ·

ـ وكلما كان جميلا أن يدعو الآخرين على الغداء فهذا لايحور فى وجود رجل فى غناه سيبيع فى جلستنا التى ننتظر ·
ـ معقول أيضا ·
ـ استأذن منا عبد القادر بك وغاب ·

ـ الى أين ذهب ؟
ـ انتظر ·· قلت لزملائى انى أفكر فى شىء وأنا واثق منه قالوا ماذا ؟ قلت انتظروا ذهبت الى المرحاض ·· أتتصور مرحاضا فى قهوة حقيرة ·· رائحته تملأ المنطقة كلهـــا لا القهوة وحـــدها ·· للمرحاض فتحة مستديرة فى أعلى الباب لا أعرف لوجودها سببا وجدت عبد القادر بك يخرج من جيب الصديرى لفة بها طعميتان ومن الجيب الآخر شـــقة عيش وأنت تعرف أن نظره ضعيف فلم يرنى وراح يتناول غداءه هذا فى المرحاض حتى لا يضطر لدفع القروش الخمسة التى تكفى غداءنا وتقول صديق ·

ـ أعوذ بالله · ولماذا تسير معه ؟
ـ الم أقل لك لماذا ؟
ـ لا ···
ـ اسمع ·
ـ حكاية أخرى ·
ـ العن وأضل سبيلا ·
ـ ماذا ؟

ـ ذهبت لابيت معه فى لوكاندة بسيدنا الحسين رجوته أن يعيرها عابى وكنت مضطرا أن الازمه لان صفقة هامه كانت تنتظرنا فى الصباح الباكر من اليوم التالى · وكانت عينه اليمنى مصابة برمد حاد · فحين دخلنا اللوكاندة نادى الخادم وقال له اذهب الى الصيدلية القريبة واشتر قطرة وقطارة وبكلة قطنا سأله الخادم بنكلة قال نعم بنكلة · ذهب الخادم وعاد بالاشياء ورأيته يعطى الخادم شيئا فعجبت فليس هذا من عادته · قبض الخادم على ما أعطاه وخرج دون أن ينظر فيه ولم تمر لحظة الا وفتح الخادم الباب وقال له « ماذا اعطيتنى ياعم الشيخ » فقـــال عبد القـــادر بك « نكلة » فقال الخادم « اذن فانى لم أخطىء لقد اعتقدت أننى أخطأت · هذه يا عم الشيخ النكلة خسارة تنفعك » وخرج الخادم ولم أجرؤ أن أسأله عما فعل ولكنه هو قال « بنى آدم لا يملأ عينه الا التراب ··· ماذا يريد ·· أيريد فدانا لانه اشترى لى بضعة اشـــياء من الصيدلية » قلت « الفرق كبير جدا بين النكلة والفدان » يا عبد القادر بك · قال · « كلكم مجانين تبعثرون من أموالكم فى الكلام الفارغ » · والله لو أعطيته حسبها ما قنع « بنى آدم لا يملأ عينه الا التراب » قلت تعال لترى عينك أولا « وقطرت له فى عينه المريضة جففت القطرة بقطعة من القطن وألقيتها الى الارض » قال « ماذا فعلت » قلت « رميت القطنة » قال « أنت جننت » قلت « لماذا » قال « ألن تقطر فى العين الثانية » قلت « نعم » قال « فلماذا رميت القطنة » قلت « حتى لا تصاب العين السليمة من العين المريضة » فاذا به يقول غاضبا « يا رجل حرام عليك خسارة القطن · كلكم مجانين » · أتستطيع بربك أن تقدر لى ثمن قطعة مقطوعة من قطنة ثمنها نكلة · وتقول أصدقاء فى هذا اليوم قال لى حكمة عجيبة · قال ان أحد المليونيرات فى الغرب قال راقب الملاليم أما الجنيهات فسوف تراقب نفسها وتقول لى صديق ··· يا سعادة البك زوج أختك لا يعرف معنى كلمة صديق هذه أبدا ·

ـ يا سيدى أنا آسف لهم ·
ـ أنا تحت أمرك فى كل شىء الا فى مسألة أختك ·
ـ لماذا ؟
ـ حين كلمته فى المرة الفائتة كاد يضربنى والحقيقة أنا استعيد

منه لصفقاته كثيرة وانا آخذ حقى فى السمسر وانا لا إضمن ان اجد زبونا مثله .

ـ اذن اخبرنا اين نجده ؟
ـ هو ليس فى المنصورة .
ـ واين تظنه يكون ؟
ـ لعله فى القاهرة .
ـ اذن دلنا على مكانه فى القاهرة .
ـ هذه سهلة .

ـ وذهب سلام اليه فى اللوكاندة فوجده يمارس هوايته فى تنقية القمل من ملابسه .

ـ يا رجل اتق الله .
ـ اسمع أنا لا اريد نصائح احد .
ـ اتق الله فى نفسك ان لم تتق الله فى أولادك .
ـ لا شأن لاحد بى .
ـ ماذا تريد ان تصنع بهذا المال ؟
ـ أنتم مجانين . والمال لم يوجد الا ليجمع .
ـ يقولون انه موجود ليتمتع به الانسان .
ـ أنا أتمتع بجمعه ما رأيك ؟
ـ أهذه متعتك ؟
ـ ولا متعة لى غيرها .
ـ اذن اسمع .
ـ سمعنا .
ـ أختى تريد أن تكلمك
ـ قل أنت ما تريد .
ـ هناك أشياء لا يقولها الا الزوج .
ـ أمرى الى الله أذهب معك .
قالت نفيسة .
ـ اسمع يا عبد القادر هذه الحال لا تنفع .
ـ هذا آخر ما عندى .
ـ اذن على أنا أن أفعل ما يجب على .

ـ افعل كل ما فى يدك .
ـ منذ الغد سأسقط التوكيل عنك واوكله أخى فى ادارة الارض .
ـ وبعد غد تصلك ورقة الطلاق .
ـ هذا يوم المنى ... على الاقل يعرف الناس أننى انفصلت عنك لعل بناتك تتزوج .
ـ ولن تبقى بناتك معك .
ـ هذا أمر تقررة المحكمة .
ـ وأنا أحب المحاكم .

وخرج وفعلا أسقطت الست نفيسة عنه التوكيل ووكلت اخاها فى ادارة الارض وفعلا قلق هو روحته ولم يطالب بقسم الاولاد قائلا فى نفسه مادامت قد استولت على الارض فلا أقل من أن تنفق هى على الاولاد . ولكن الست نفيسة كانت مليئة منه بالغيظ فرفعت دعوى نفقة وحكمت المحكمة لها بمائة وخمسين جنيها شهريا مع دفع المتجمد من يوم الطلاق .

جن جنون عبد القادر وذهب الى المحامى .
ـ ان جاءت البنات الى حضانتى لن يكلفونى أكثر من عشرة جنيهات أو عشرين .

ورفع دعوى الضم بالنسبة للبنتين . أما الاولاد فكانوا قد بلغوا سن الرشد وحكمت المحكمة بالضم وفى يوم تنفيذ الحكم ذهب ومعه الحاج احمد هلال ليتسلم البنتين وعند باب البيت :

ـ حاج احمد ... هات لنا عربة .
وذهب الحاج احمد فاحضر سيارة أجرة نظر اليها عبد القادر .
ـ ما هذا ؟
ـ سيارة أجرة .
ـ وهل قلت لك سيارة .. اتريد أن تخرب بيتى ؟
ـ لماذا ؟
ـ السيارة ستأخذ أكثر من عشرين قرشا .
ـ ماذا تريد ؟
ـ عربة ... عربة حنطور بخمسة قروش !

وصرف الحاج احمد السيارة بعد أن دفع أجرتها من جيبه واحضر عربة ونزلت البنتان وركبتا معه صاغرتين وسارت العربة !

وفجاة لاحت فى الطريق سيارة فاخرة نظرت البنتان فيها فوجدتا أمهما ومعها خالهما فاذا البنتان تقفزان من العربة وتجريان الى السيارة ويصيح عبد القادر :

– امسك يا حاج احمد .
– ماذا أمسك ؟
– البنتين .

– يا عبد القادر بك بناتك كبيرات أتريد يدى أن تأتى على صدريهما ؟

– امسك ولا شان لك .

– نحن فى الشارع يا عبد القـــادر بك ... لا يمكن .. لا أسـتطيع .

واثناء هذا الحوار كانت البنتان قد ركبتا السيارة مـــع امهما وعاد هو حانقا الى البيت وظل يدفع النفقة .

عبد القادر وبائعة الفجل

كان جالســا امام باب بيته فى بنى سويف وكان الوقت رمضان، وكان صائما بطبيعة الحال حين مرت به بائعة فجل .

– بكم الحزمة يا خالة ؟
– بتعريفة ..
– هات عينة اريها لهم بالداخل .
– احسن فجل وشرفك .. تفضـل .

واخذ حزمة الفجل ودخل الى منزله وما هى الا لحظات قلائل وعاد ..

– خذى يا خالة .
– ماذا ؟
– الفجل لم يعجبهم .
– الامر لله هات .
– ونظرت المراة فى حزمة الفجل .
– ما هذه ؟

– الحزمة التى اعطيتها لى .
– يا رجل يا ضلالى .
– عيب يا خالة اختشى .

– اعطيك حزمة ريانة ناضرة فتستبدلها بحزمة ذابلة بقيت عندك منذ أيام .
– أنا يا امراة ؟
– تعريفة يا ضلالى تريد ان تأكلنى فيه .
– ادهبى يا امراة أنا صائم ولا أريد وجع دماغ .
– صائم يا ضلالى والله لاخرب بيتك .

واتجهت المراة الى نقطة البوليس وقدمت شكواها وانتقل الضابط مع قوة الى عبد القادر .
– ماذا فعلت لهذه المراة ؟ !
– انها امراة مجنونة .
– اسمع انها تقول انها اعطتك عينة .
– حصل .
– وبالطبع البائع حين يعطى عينة يقدم احسن ما عنده .
– لقد رددتها لها .
– سنجرى تفتيشا فى بيتك .
– كيف ؟
– هكذا .
– وان وجدت فجلا ببيتى ؟ .

– سنقارنه بفجل المرأة فان كان مثله فأنت قد استبدلت حزمه الفجل .
– يا حضرة الضابط تكذبنى وتصدق هذه المراة .
– أولا انت تصلها ... وثانيا لماذا تتبل عليك هذه المراة ؟

وقام الضابط والقوة بالتفتيش ووجدوا حزمة الفجل وقاموا بالمقارنة واصدروا الحكم فى الحال .
– تدفع لهذه المراة خمسة جنيهات .
– ماذا ؟
– او نقدمك الى النيابة .
وفى هذه المرة دفع خمسة جنيهات .

عبد القادر وموظف البنك

كان معه خمسون الف جنيه وبات ليلته في لوكاندة الحسيني وهي في هذا اليوم بالذات احسن مكان يبيت فيه فهي المكان الوحيد الذي لا يشك أحد أن شخصا يحمل خمسين الف جنيه يبيت فيه .

صلى الفجر في الحسين وقصد ماشيا الى البنك الاهلي فوجد البنك مازال مغلقا فتكوم بجانب الباب في انتظار فتح البنك .

وأقبل الموظف الذي يحمل مفاتيح البنك فوجد هذه الكومة فرق قلبه على هذا المسكين الذي يجلس في مثل هذه الساعة المبكرة في الصباح وفي هذا البرد القارس من يناير بباب البنك ... ولم يكن الموظف غنيا ولكنه كان طيبا فمد يده بقرش صاغ اعطاه لعبد القادر فأخذه ووضعه في جيبه وهو صامت .

وبعد قليل جاء موظفو البنك وجاء المدير فدخل اليه عبد القادر وقدم له الخمسين الف جنيه ليودعها في حسابه .

ودق المدير الجرس ودخل أحد الموظفين فقال له المدير :

– هذه خمسون ألف جنيه أودعها باسم عبد القادر بك فهمي

ونظر الموظف الى عبد القادر فهمي وامعن النظر ثم قال .

– حضرتك جئت قبل فتح البنك ؟

– نعم .

– سعادتك كنت جالسا بجانب الباب ؟

– نعم .

– اذن هات التعريفة .

وأخرج عبد القادر التعريفة في صمت وأعطاه للموظف وسأل المدير الموظف فقص عليه ما حدث وضحك المدير وسأل عبد القادر

– لماذا ؟

– انا لا أرد خيرا أبدا ... هذا كفر يا سعادة المدير ... كفر .

الصبر

طال به العمر وطال لم يغير الزمن منه شيئا حتى كان قانون للاصلاح الزراعي فاذا عبد القادر يجد ما جمعه كله بددا ... سبعة آلاف فدان لم يبق منها الا ثلاثمائة .. ترى هل كان يجمع عبد القادر ماله ليرثه أولاده من بعده ... هراء والا لاعطى لابنائه الفرصة أن

يعيشوا .. لقد كانت متعته في الحياة أن يجمع المال ويمنعه عن الآخرين حتى عمن يستحقونه وأول هؤلاء وعلى رأسهم اولاده الذين لولا أمهم لعاشوا عيشة الشحاذين وابناء السبيل ، ان نكبته في قانون الاصلاح لم تكن في أن الارض لم يرثها أبناؤه وانما النكبة في أن الارض لن تصبح ملكا له ... وليست نكبته في أن ايراده قل فما كان محتاجا لايراد فهو قد أودع باسم ابنه الاكبر ما يقرب من المليون جنيه لانه كان معجبا بابنه الاكبر الذي حصل على بكالوريوس التجارة العليا وكان شحيحا .. طبعا لم يكن في القمة التي وصل اليها أبوه من الشح ولكنه كان شحيحا . وهكذا أودع باسمه هذه الاموال حتى لاتنال الضرائب منها شيئا اذا وافاه الاجل المحتوم .

الاصلاح الزراعي كان نكبة بالنسبة اليه في أنه انتزع الارض . الاموال باسم ابنه الاكبر كان فقط يريد أن يحرم ضريبة التركات من حقها هذا كل ما في الامر ولكنه أبدا لم يكن يفكر في شأن أبنائه ... انها – كما قلت – الرغبة في الجمع لنفسه والرغبة في منع الآخرين .

ولكن عبد القادر رغم ضآلة جسمه كان قويا على الشدائد فاحتمل الصدمة وظل يواصل حياته كأن شيئا لم يحدث ... طبعا مسألة الايراد لم تؤثر فيه على الاطلاق فقد كان ايراد فدان واحد يكفيه العام كله ويفيض ولكن الرغبة تحطيم العمر ... أمل السنين ... لعله قال في نفسه قد تمتعت في الجمع نفسه ولكن ما اظنه قال هذا أيضا ... المهم أنه صبر ولا أدري كيف صبر ... على أية حال لم يطل به الصبر ...

مر على قانون الاصلاح الزراعي ما يقرب من الثلاثة شهور . وكان عبد القادر جالسا في بيته بالصعيد وحيدا يمارس لعبته المفضلة مع القمل حين سمع أصواتا في الحجرة التي بها الخزانة ... كان بالخزانة ثلاثمائة جنيه ... قام يجري الى الحجرة ... الضوء منبعث من مصباح غازي فهو طبعا لا يفكر في الكهرباء ... ونظر عبد القادر ضعيف ولكن هذا لم يمنعه أن يرى أشباحا حول الخزانة .. ثلاثة نفر يتعاملون مع الخزانة معاملة لا ترضى عبد القادر .

ـ ماذا تعمل يا ابني أنت وهو ؟

وكانت كلمته الاخيرة التف اللصوص حوله وقتلوه ... لقد مات الميتة التي تليق به . لقد عاش عمره يجمع المال ومات في سبيل المحافظة على المال .

اعتبرت الضرائب الورثة يملكون السبعة آلاف فدان فحجزت على الثلاثمائة الباقية وفاء للضريبة المستحقة على وراث سبعة آلاف فدان .. وحاول الاخوة أن يسألوا من اخيهم شيئا من المال السائل فأبى مدعيا ان المال جميعه ماله فابلغوا الضرائب أن الاموال التي بالبنك باسم اخيهم انما هي ملك لابيهم فوضعت تحت الحراسة وفاء للضريبة المستحقة . ولم يبق من عبد القادر فهمي الا صفحة الصفحات التي أنقلها اليك لو كنت ألفتها لك لكان من حقك أن ترى فيها رأيك حسنا كان او غير حسن ولكن الحياة هي التي ألفت هذه الصفحات وهي ـ للاسف ـ حين تؤلف لا يهمها كثيرا رأي أحد ـ ومع ذلك فقد رأيت فيما ألفت الحياة شيئا يستحق أن أرويه لك وفي هذا الرأي تستطيع انت أن تقول ما تشاء رضى او سخطا .

حين تقرر أن يسافر الى السعودية لاعمال الشركة البولندية التي يعمل بها لم يفكر في شيء آخر الا ان يزور الاراضي المقدسة ويطوف حول الكعبة المكرمة ويقف امام شباك النبي ·
ولم يكن توقه الى العمرة عن أي شعور بالايمان بل كان كل ما يفكر فيه هو تحدي هذه الرواسب التي تسيطر على افكار المسلمين والتي يرى ان انصياعهم لها ماهو الاتعلق ببقايا الابوة وعهودالصبا والطفولة ·
وكان واثقا ان الانســـان المتحضر لايمكن ان يؤمن بفكرة الدين أو التعلق بأوهامه
وهو واثق من نفسه ومن افكاره وقد ازداد بها وثوقا حين اختار المذاهب الشيوعية مذهبا واتسلك في قالبه وواجه كل ما واجهه اصحاب المذهب من عقاب كما نال كل ما ناله هؤلاء من ثواب ·

والوظيفة التي يرتع فيها الان ماهي الا نهر من فيض البحر الذي انسكب على ابناء مذهبه فما كانت الشركة البولندية لتعينه لو لم يكن شيوعيا غارقا في الشيوعية يهب لها نفسه والحاده ويقدم اليها أيضا فقره لترده عليه غني ووفرة ورفاهية ورخاء ·

وقد استطاعت الشيوعية ان توفر له مالم تستطع الرأسمالية أن توفره لاحد من امثاله · فسيارته كاديلاك من آخر طراز ·· نعم السيارة رأسمالية ولكن مادام الشيوعي قد استخدمها فان سيارته هذه الكاديلاك بالذات تصبح شيوعية بالتخصص ·

ومنزله من افخم منـــازل الزمالك واثاث بيته عالي الثمن غـــلاء فاحشا لايهم من بعد ان كان يتسم بالذوق السليم أو لايتسم فكل ما يهمه ان يكون غالي الثمن ·

اما ملابســـه فهي في الحق مضحكة لانه فيما يبدو مصاب بعمى الالوان متراها تختلط على جسمه كقصة غير معقوله أو كموسيقى صاخبة يعرفها قوم لاقائد لهم ولارابطة تجمع بينهم · ولكن كل وحدة من وحدات ملابسه ثمينة في ذاتها · وواضح انه يبذل فيها المـــال الكثير · فقد كان يعنيه دائما ان يبذل المال الكثير فيما يركب او يسكن أو يلبس ·
وكان يتيه دائما بين الناس بانه لايمد يده لاي دولة شيوعية وانه شيوعي بالمبدأ لا بالجيب وهو بطبيعة الحال يرى ان وظيفته هذه التي يشغلها والتي تنسكب عليه هذا المال حق طبيعي له لاصلة لها بالشيوعية · هو يرى ذلك امام الناس وحين يخـــاطبهم ولكنه في دخلية نفسه يعرف تماما انه لو لم يكن شيوعيا لما زاد دخله عن دخل زملائه الذين تخرجوا معه والذين يعملون في الوظائف العادية والذين يعجز مرتبهم ان يطاول عشر مرتبه ·
هو واثق كل الوثوق ان ذلك الخير الذي يمرح فيه سببه الوحيد الذي لاسبب غيره انه شيوعي ويعلم ان الكلية التي تخرج فيها قد منحت الحياة الآلاف من امثـــاله أغلبهم أكثر منـــه علما ودربة على العمل واتقانا له ·
ولكن الشيوعيين وحدهم من هؤلاء الآلاف الذين يستطيعون أن ينالوا ماتهبه لهم الحياة من حظوة · واصحاب الجرأة فيهم هم الذين يستطيعون أن يواجهوا الناس انهم لايمدون يدهم لاي بلد اجنبي · وهو من اصحاب الجرأة هؤلاء ·
حين نزل الى جدة قصد الى فندق الرياض حيث كانت شركته قد حجزت له حجرة فاخرة ذات غرفة ملحقة وتليفزيون · وبعد ان اودع الحجرة حقيبته ونظر الى المرآة واطمأن على القصة غير المعقولة التي يضعها على نفسه نزل الى بهو الفندق ينتظر اصحاب العمل الذي جاء من أجله ·
ولكنه فوجيء بصديقه رفعت جالسا في البهو ··
ـ انت ··· انت في السعودية
ـ عمـــل
ـ فقط ؟
ـ طبعا سأعمل هذه العمرة التي تحكون عنها في دينكم
ـ وانت ؟ الله دين آخر

ــ انت تعرف
ــ فعلا ‥ أنت مسكين ‥ انت بلا دين على الاطلاق
ــ احمد الله على ذلك
ــ بل احمد الشيطان ان شئت
ــ المهم انت ماذا تعمل هنا
ــ انا جئت من اجل هذه العمرة التى نؤمن بها نحن المسلمين
ــ وهل قمت بالعمرة
ــ ليس بعد ٠ انا على موعد مع الاصدقاء ان نقوم بها
ــ اذهب معكم
ــ ألا تخاف
ــ اخاف مم
ــ الا تخاف ان تؤمن ‥‥ ان للكعبة روعة وان لقبر الرسول ضياء لاتراه العين وانما ينفذ الى القلب والى حنايا المشاعر فيرج الانسان رجا عميقا وترى روحك محلقة الى عليين تطوف مع النبى فى رحلة آخر دين أرسل الى الناس وتراه معذبا فى سبيل عقيدته ثم تراه فى خطبة الوداع اتم دينه وبشرنا ان الله رضى لنا الاسلام دينا يخطب فى أصحاب عام حجه ان دماءكم واموالكم حرام بينكم حرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى عامكم هذا ٠ ويهتف بهم وهو يختم رسالته الى البشرية اللهم هل بلغت ويصيحون نعم ٠ ويهتف مرة أخرى اللهم فاشهد ٠

اتحتمل هذا جميعه ٠
ــ قد لايحتمله السذج من امثالك أما انا فاحتمله وانى واثق
ــ لكم اخشى ان اجدك اكثر سذاجة منى ومن اصحابى المؤمنين
ــ لقد جربت نفسى مع الايمان
ــ حقا
ــ ووجدت نفسى غير قابل للايمان على الاطلاق
ــ هل أنت واثق
ــ كل الثقة
وكيف عرفت
تعرضت لمحنة فلم أذكر الله
ــ ما نوع المحنة
ــ هل يهمك هذا

ــ كل الاهمية
ــ كنت راكبا سيارتى وغفت عينى لاجد نفسى غائصا بسيارتى فى الماء حاولت أن افتح باب السيارة فاستعصى على ورحت أحاول وأنفاسى تختنق بى تشدنى الى الموت فى جذب آسر عنيف ولم أجد امامى الا ان احاول الخروج من شباك السيارة ورحت أدفع جسمى خلالها دفعا ثم لم اع بعد ذلك من امر نفسى شيئا ٠
ــ انقذت وانت ناسى عقيدتك
ــ نعم
ــ ومتى كنت تريد أن تذكر الله ‥
أننا نحن المؤمنين نذكر الله حين نصبح عاجزين فان الله يأمرنا ان ندبر نحن أمر انفسنا ونتوكل عليه ولا نتواكل ٠
وقد كنت انت مشغولا بانقاذ نفسك وحين جاءت اللحظة التى يجب ان تقول فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله كان مغمى عليك ٠ يا صديقى ان هذه تجربة لا تصلح دليلا تطمئن اليه ‥ انك مخلص ضد الايمان ٠
ــ اترى ذلك
ــ لا شك فى ذلك ‥ هيه ‥ أتاتى معنا
ــ لا سأذهب وحدى
وأثار الحديث الكثير من الوساوس فى ضميره ٠ ما مصيرى اذا اهتزت مشاعرى من الايمان واستيقظت من سباتها تلك البذرة القديمة التى القى بها فى نفسى أبواى وسمتها البيئة والتقاليد وتاريخ أجدادى الطويل فى ظل العقيدة ٠
وما البأس أن أؤمن وأظل فى عمل ‥ وراء أن عمل متوقف على لحادى ‥ ولماذا القى بنفسى الى صراع انا فى غنى عنه ومالى لا أبعد مشاعرى عن هذا الامتحان ؟ قد أجوزه وأظل على الحادى أوقد أرسب وأعود الى الايمان ٠ ويومئذ وداعا للكاديلاك والملابس الانيقة والعيش السعيد ٠
وبعد أيام التقى الصديقان فى بهو الفندق :
ــ أراك تنهى اقامتك بالفندق
ــ عائد الى بيتى
هل أديت العمرة
ــ لم يتسع الوقت

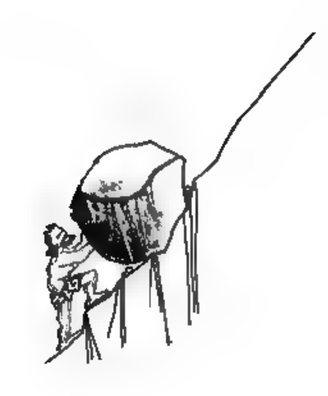

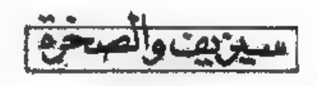

جاء في الاساطير أن الآلهة قضت على سيزيف بالصعود الى أعلى الجبل وهو يدفع أمامه صخرة . وقضت الآلهة ألا تستقر هذه الصخرة في أعلى الجبل أبدا . فكلما صعد بها سيزيف تعود لتنزل الى السفح ، ويعود سيزيف فيدفعها امامه الى أعلى الجبل .

وفي يوم صعد سيزيف الى أعلى الجبل دافعا أمامه الصخرة وتركها وعاد لينام وكان قد تعود أن يستيقظ مع فجر كل يوم ليجد الصخرة التي وضعها على القمة في أمسه قد عادت الى السفح مع الفجر . ومع انبثاق النور يعود سيزيف فيدفع الصخرة الى أعلى الجبل ويستغرق منه هذا الجهد اليوم جميعه حتى الهزيع الاول من الليل .

وفي هذا اليوم صعد كشأنه وترك الصخرة . ونزل لينام ولينتظر الصخرة لتعود فيدفعها في باكر الصباح .

وأشرق الفجر . ولا يدرى سيزيف لماذا راح ينظر حواليه فوجد انه يعيش في أجمل مكان في العالم فحوله الجداول الرقراقة والاشجار اليانعة والحدائق الغناء والطيور تستقبل النهار بموسيقى سماوية وتودعه بمواكب حافلة من الانغام . وتعجب سيزيف انه لم يلتفت الى هذه الجنان حواليه الا في يومه هذا وأسف لهذا القضاء الذي فرضه عليه قدره وتمنى أن تتاح له الفرصة أن يستمتع بهذا الهناء الذي يرف حواليه ولا يصيب هو منه شيئا حتى ولا متعة النظر . كان قد مر عليه عشر سنوات وهو راضخ لقدره طائع له مستسلم غير متبرم به ولا هو ضجر . ولكنه في يومه هذا كان يتمنى لو كان قدره أكثر رفقا به .

قام الى الصخرة ومد يديه دون أن يكلف نفسه عناء النظر ولكن يديه بالهواء استقبلتا ونظر فاذا الصخرة ليست فى السفح وتشوف القمة فاذا الصخرة راسخة هناك لم تنزل · جن جنونه من الفرح وصعد الجبل وثبا وفي مثل اللمحة الخاطفة كان واقفا هنـــاك · الصخرة ثابتة حيث تركها فى الامس · اذن فقد افرجت عنه الآلهة·

جرى الى الجدول الرقراق وراح ينقع نفسه فيه ويصب ماء صبا · وغسل ثوبه فاذا هو يعود جديدا كأنما لم تعمل فيه السنون بيديها· وبحث عن حجر وراح يسنه حتى أصبح قاطعا وراح يحلق ذقنه فهى ناعمة · ثم استقبل الجنة التى حواليه وراح يأكل مما بها من فواكه رائعة ·

وما أن غذ فى السير حتى وجد اطفالا يلبسون عليهم ثياب نظيفة وفى وجوههم مرح ونعيم وسألهم :

ـ ماذا تعملون هنا

ـ نلعب

ـ ألكم بيت

ـ طبعـــا

ـ أين

ـ فى هذه القرية هناك

اذن فبجانبه قرية أيضا قصد اليها فاذا من بها يلتفون حوله

ـ من أنت

ـ سيزيف

ـ صاحب الصخرة ؟

ـ نعم

ـ لست به

ـ بل انني هو

ـ سيزيف أشعث الغبر قذر الثياب طويل اللحية مكثر لا يعرف الضحك طريقا الى وجهه ·

ـ لقد عفت عني الاقدار

ـ والصخرة

ـ فى أعلى الجبل

ـ ولم تنزل

ـ بل هى باقية حيث ارسيتها بالامس

ـ اذن لنقيمن لك عيدا

ـ ولكنكم لا تعرفونني ·

ـ بل نعرفك ·· كنا نرقبك طوال السنوات الماضية

ـ لم أر احدا منكم

ـ كنت مشغولا عن الدنيا جميعا

ـ اذن فهل اطمع ان أكون واحدا منكم

ـ كن

ـ واقيم العيد وضج المكان بالموسيقى والرقص ·· وفى اثناء الرقص وقعت عينا سيزيف على فتاة كانت تبدو امامه كنجمة مجنحة هبطت من السماء فيها أشعاع حلو ريان ينساب جسمها كحلم وسنان وهى ترقص كملاك وتبتسم كامل وتغنى وكأنها أمنية تتحقق ·

ـ ما اســـمك

ـ سيفيليا

ـ زوجة انت لا شك

ـ بل لست زوجة

ـ كيف ·· أهذا الجمال جميعه لم يجد الزوج ·

ـ يبدو ان السماء تريدنى لخير من طلبنى

ـ ترى اترضى بى السماء زوجا لك ؟

ـ انى ارضى

ـ اذن فالسماء ترضى

وكان الزواج وعاش سيزيف أجمل فترات حيـــاته وانجب من سيفليا ابنا وابنة وكان دائما يسأل أهل قريته ·

ـ عمـــلا

ـ ولكن لا عمل لك

ـ ابدا

ـ لقد وزعنا الاعمال من قبل مجيئك وهكذا ضاق سيزيف بالفراغ ووجد نفسه يذهب الى الصخرة يدفعها عن الجبل ولكنها كانت ثابتة لا تريد حراكا فاتى بفأس وراح يضرب حواليها حتى وهنت

حدورها ودفعها فسقطت الى السفح ومنذ ذلك اليوم اصبح عمله كل يوم أن يدفع الصخرة الى القمة طوال اليوم وفي اليوم التالي يدفعها الى اسفل ثم يعود فيصعد بها الى أعلى ٠

وصحب ابنه وابنته ٠ فتشجع ابنه وسأله :

ابي ماذا تفعل ؟

ــ اعمـــل

ــ ولكن بلا فائدة

ــ كيف تقول هذا ؟

ــ لا ارى نتيجة لعملك

ــ النتيجة الوحيدة انني اعمل

ــ اليس لكل عمل فائدة

اريد أن يوجد العمل اولا

يوجد العمل اولا

ــ حتى ولو كان بلا هدف

ــ لو فكرت يابني قليلا ٠٠ لو فكرت لوجدت الهدف ٠٠ اتراك وجدته ٠٠ لايهم ٠٠٠ سوف تجده ٠

لم يكن يتصور حين ادخل نادية المدرسة الابتدائية انه سيطيق دفع المصروفات لها حتى تواصل تعليمها . ومن أين وهو يعمل ساعيا بوزارة الحربية مرتبه عشرة جنيهات . وقد أدخل محمدا ابنه الاكبر الى المدرسة كما ادخل ابنه الآخر عبد الكريم . وحين جاءت نادية عزم في نفسه أن تبقى في البيت لتساعد أمها عيشة على شئون البيت . ولكنها حين بلغت السابعة كانت عبئا على الام بدلا من ان تكون عونا لها .

ـ ادخلها المدرسة .

ـ وبعد المدرسة .

ـ تقعد في البيت .

ـ وان عجبها الحال .

ـ يجعلها ألف حلال .

ـ ولو تعبت من اعمال البيت .

ـ هي الآن أكثر شيء يتعبني في البيت .

ـ تدخل المدرسة .

ـ آه ... تدخل المدرسة .

ودخلت نادية المدرسة . وكأنما كانت شيطنتها وهي في البيت تنتظر الشرارة لتنفجر فانفجرت . انفجرت مذاكرة فهي الاولى دائما . وبدلا من أن تعاند أخويها وتغيظهما انهما يتفوقان في دروسهما سما تنتهب هي الدروس انتهابا كانت تترضى كلا منهما وتتخاضع لهما في الحديث ليشرحا لها ما يعجز المدرس أن يشرحه . فالمدرس لم يكن يشرح شيئا وهي لم تكن تفهم من المدرس شيئا والمدرس ونادية كلاهما معذور . فقد كانت المدرسة لا تملك الفصول الكافية للتلاميذ . والوقت المخصص للدراسة من السابعة الى الثانية عشرة لان هناك تلاميذ آخرين تخصص لهم المدرسة من الثانية عشرة الى

الرابعة . فالمدرس تائه بتلاميذه يبحث لهم عن مكان وهو ملهوف ملوع يريد أن يرمي بدرسه قبل أن يدهمه موعد الجرس وبين اللهفة والقلق لا يفهم التلاميذ شيئا . ولم تكن نادية الا واحدة من أولئك التلاميذ الضائعين مع مدرسهم فلم يكن لها موئل الا أخواها محمد وعبد الكريم يشرحان لها ما في الكتاب . ذلك الكتاب المستكين بين يديها لا يبحث عن مكان يلقي فيه بدرسه ولا يخشى أن يدهمه الموقف وانما هو ثابت صابر ينتظر من يقرأه ومن يفهمه في هدوء ودعة وامان .

وكانت نادية تنظر الى زميلاتها اللواتي قعدن مع أمهاتهن في البيت فيزلزلها الرعب أن تصبح مثلهن . ثيابا متهرئة وشعرا أشعث أغبر واقداما مفلطحة من طول ما عاشرت الطريق عارية . وهي تنظر الى المرآة فترى في وجهها مخايل وسامة وحين تمعن النظر لا تدري من أين جاءت لها الوسامة فعيناها لاسعة بهما ولا عمق ووجهها أكثر ميلا الى السمرة وفمها أكثر ميلا الى السعة وشعرها فيه انسياب ولكنه انسياب ساذج لا التواء به ولا ذكاء ولا حنايا ولا ثنايا . ولكنها مع ذلك كانت ترى في نفسها وسامة وكانت تشفق على هذه الوسامة التي لا تدري ماتاها أن يغولها البيت والطريق الاغبر والاقدام العارية والملابس المتهرئة فهي الاولى دائما . ونالت الشهادة الابتدائية وخجل أبوها أن يتكلم في ابقائها بالبيت فهي الاولى وهي أكثر نجابة من ولديه فهي اذن في الاعدادية . ويصرخ الاب .

ـ تعبت .

ـ وأنا تعبت .

ـ مرتبي لم يزد الا جنيهين .

ـ وانا كبرت واريد من يساعدني .

ـ أتستطيع نادية أن تساعدك ؟

ـ ولماذا لا تستطيع ؟

ـ اصبحت بنت مدارس .

ـ ولكنها تستطيع أن تساعدني .

ـ كيف نقول لها ؟

ـ انك ابوها ألست كذلك ؟

ـ وأنت أمها الست كذلك ؟
ـ أنت رب البيت .
ـ وأنت ربة البيت .
ـ لا تخالف لك أمرا .
ـ ولا تخالف لك أمرا .
ـ يظهر اننا نخاف أن نكلمها .
ـ نعم .
ـ وبعد .
ـ الخيرة فيما اختاره الله .
ـ والبيت وتعبى .
ـ أصبر أنا على الضنك وقلة المال وتصبرين أنت على عمل البيت وليكن ما يكون .
ـ تخاف من ابنتك .
ـ لا تعيريني ولا أعايرك .

واستمرت نادية فى المدرسة وواصلت نجاحها فى المرحلة الثانوية .. وفى المرحلة الثانوية راحت أنوثتها تتبلور معها فهى تتفجر فى كل يوم عن جديد والفتاة تستقبل أنوثتها فى شوق عارم مفتوحة الذراعين تواقة الى كل نامة جديدة من أنوثتها الوافدة . كانت تريد ان ترغم ثيابها على اظهار أنوثتها ولكن ثيابها لم تكن تطيعها فهى ثياب رخيصة وتفصيلها مجانا والانوثة تحب أن تختار القماش وتختار التفصيل وبين ضيق ذات اليد من الاب ورغبة نادية العارمة فى اظهار أنوثتها تنكمش الثياب خجلة حائرة لا تدرى ماذا تستطيع ان تفعل لترضى صاحبة الانوثة الجديدة .

كانت نادية تحاول مع ثيابها ما وسعها الجهد فهى تضيق الحزام حتى لتكاد أنفاسها تختنق ولكن لا يهم فان الحزام حين يشتـد يسمح للجزء الهام من الصدر أن ينفجر الى امام وللجزء الهام من الظهر أن ينفجر الى وراء ويظهر من الجسم الفتى ما تحاول الثياب ان تطمره فى رخصها .

هناك عينان تتبعان نادية فى كل يوم حين تذهب الى المدرسة وحين تعود . بل ان هذين العينين تراصـــدانها كلما تبدت فى

الطريق . كانت العينان نافذتين ولم تكن نادية تستطيع أن تغفل حدة النظر التى توجه اليها منهما . كانت ترى فيهما نوعا من الجرأة وكأنما كانت العينان تجسان كل مكان فى جسمها وكان فيهما انتظار ولم تكن نادية تفهم سببا لاى من هذه المعانى التى تتواثب من العينين . فلو كان صاحبهما شابا فى ريق العمر أو حتى شابا فى أواخر الشباب لكان لهذه النظرات معنى . ولكن ان تصدر هـذه النظرات من حسين بائع السجائر الذى يكبر أباها فى السن فهذا امر لم تستطع ان تفهمه أبدا .

وفى يوم .
ـ تعالى يا نادية .
ـ نعم يا عم حسين .
ـ يعنى يابنتى تموتين ولا سلام ولا كلام .
ـ أراك مشغولا يا عم حسين .
ـ ومهما انشغل يا بنتى هل يمكن أن انشغل عنك .
ـ كتر خيرك يا عم حسين .
ـ لقد شلتك على كتفى يا نادية .
ـ عارفة يا عم حسين .
ـ كنت قبيحة ولا يحب أن ينظر اليك أحد .
ـ أهكذا يا عم حسين .
ـ سبحان مغير الاحوال من كان يظن ... من كان يظن .
ـ ماذا يا عم حسين .
ـ يا بنت الا تعرفين ما اريد أن أقول ؟
ـ لعلى أعرف وأريدك أن تقول .
ـ آه من البنات اليوم يا عالم .
ـ ماذا فعلن يا عم حسين ؟
ـ مصيرى معهن الى الجنون والله .
ـ ومالك ولهن يا عم حسين ؟
ـ وهل لى شغلة غيرهن ؟
ـ أنت يا عم حسين .
ـ آه أنا ... وماذا فى هذا ؟

ـ لا شيء يا عم حسين ولكن الا ترى نفسك كبيرا بعض الشيء على بنات اليوم ·
ـ يا بنت اصحى ·
ـ صاحية وحياتك يا عم حسين
ـ لا وشرفك ··· نائمة فى العسل نوما وأين العسل ··· نائمة من البشر نوما ·
ـ لماذا يا عم حسين ؟
ـ اهذا يليق ·
ـ ما هو الذى لا يليق ؟
ـ هذا الجسم المرمرى ··· هذا الجمال العجيب يلبس هذه الهلاهيل ·
ـ وبعد يا عم حسين ·· أنت تعرف البير وغطاه ·
ـ ملعون أبو البير على غطاه ·
ـ وماذا اعمل ؟
ـ أسمعى كلامى ·
ـ وهل قلت شيئا ·
ـ لى أصدقاء ·
ـ لك أنت ؟!
ـ يجعلونك تلبسين الحرير ··· لا تلبسين الا الحرير ·
ـ أبرد يا عم حسين ·
ـ والصوف الانجليزى فى الشتاء ·
ـ هكذا مجانا ·
ـ مجانا وشرفك ·
ـ ما دخل شرفى فى الموضوع يا عم حسين ·
ـ شرفك مصون ··· اسمعى كلامى ·
ـ حرام يا عم حسين ·
ـ اذا غيرت رأيك أنا تحت امرك ·

ونالت نادية شهادة الثانوية العامة · وفى الصيف كانت كلما مرت بعم حسين ألقت اليه ابتسامة وتحية من بعيد · ان هاجسا فى نفسها كان يهمس لها الا تقطع المفاوضات بينها وبين عم حسين ·

وانتهى أشهر الصيف ودخلت الى الجامعة ··· ان لها زميلات من المدرسة الثانوية ذهبن معها الى الجامعة ··· تعرفهن وتعرف ملابسهن وهن فى المدرسة الثانوية ··· ما هذا الذى يرتدين ··
ـ كيف ·
ـ انت هبلة ·
ـ هبلة ؟
ـ الا تعرفين كيف ؟
ـ آه فهمت · فهمت ·
ـ أخيرا ·
ـ وعند الزواج ·
ـ بثمن فستان نجرى عملية ·

وحين عادت فى ذلك اليوم وقفت مع عم حسين دقائق ··· لقد كان الهاجس فى نفسها صادقا معها ··· لقد أحسست صحيحا انها لم تقطع المفاوضات ·

السباحة فى الرمال

كان البحر هادئا ولكن الشاب الذى يسبح فيه خائر القوى فهو يرفع راسه يلتقط نفسه ثم يغوص راسه مرة أخرى فيمد يديه لاتجدان الا الفراغ وتهويان مرة أخرى خائرتين الى المياه ويعود راسه يشرئب فى يأس ويهوى فى عجز الى الماء .

أنا لا أجيد السباحة . لو حاولت أن أنقذه مت أنا وهو لامحالة نظرت حولى فوجدت شابا فتيا يجلس فى زورق على الرمال ويحرك مجدافين فيمسان الرمال فى رفق ثم يرتفعان الى الهواء والفتى ماض فى عمله هذا كأنما يجدف فى الماء وكأنما يمضى الى مكان يعرفه فان نظرت اليه خيل اليك أن الهدف أمامه واضح لاشك فيه .

وارتفع صوت الفتى الذى يغرق فى اليم ... ارتفع فى يأس يطلب النجدة ومزقت صرخته كل نفس ولكن الفتى فى الزورق لم يلتفت اليه وظل يجدف وكأنه فى عالم آخر .

ـ الا ترى هذا الذى يغرق ؟
ـ أراه وأعرفه .
ـ أتعرفه ؟
ـ انه أبى .
ـ أبوك !؟
ـ وأخى .
ـ وأخوك !؟
ـ وأمى .
ـ وأمك !؟
ـ وزوجتى .
ـ وزوجتك !؟
ـ وابنى .

ـ وابنك ؟!
ـ وابنتي .
ـ وابنك ؟!
ـ وكل ماضي وكل مستقبل .
ـ فلماذا لا تذهب اليه بالزورق ؟
ـ هذا الزورق لايسير في الماء .
ـ ان الزورق لم يخلق الا للماء .
ـ ولكن هذا الزورق لايسير في الماء .
ـ وانت الا تستطيع أن تنقذه ... الا تستطيع ان تعوم ؟
ـ أنا أحسن سباح في العالم .
ـ فلماذا لا تنقذه ؟
ـ أنا لا اسبح الا في الرمال .
ـ ان الرمال لم تخلق للسباحة .
ـ وهل خلق الماء للسباحة ؟
ـ ان السباحة هي التي خلقت للماء .
ـ فانقذه .
ـ لا استطيع .
ـ لماذا ؟
ـ ان أحدا لم يدعني .
ـ فانذا ادعوك .
ـ ومن أنت ؟
ـ بشر .
ـ ولكن ماشانك ؟
ـ انسان يغرق .
ـ وهل أنت مسئول عن كل انسان يغرق .
ـ انني مسئول عن كل انسان .
ـ من الذي القى عليك هذه المسئولية ؟
ـ انسانيتي .
ـ مغرور .
ـ أهذا وقت النقاش ؟

ـ انه وقت النقاش .
ـ ابوك وأمك وزوجتك وابنتك وأخوك وماضيك ومستقبلك جميعهم يغرقون وانت تناقش .
ـ أنا لا أعرف الا النقاش .
ـ فاعطني هذا الزورق .
ـ قلت لك انه زورق للرمال فقط .
ـ اعطنيه ولا شأن لك .
ـ لا تستطيع الاقتراب منه .
ـ ساحاول .
ـ لا تحاول .
ـ بل لابد ان احاول .

واقتربت من الزورق ولكن شيئا جعلني أقف ولا أستطيع الاقتراب من الزورق ورحت أدفع جسمي بكل قوتي ولكن بدون جدوى والفتى في الزورق يجدف وكأن شيئا لايحدث والفتى في البحر يغرق ويصرخ من حين الى آخر ولكن بلا جدوى هو الآخر .

ـ أنا لا استطيع فعلا أن اقترب منه ولكنك انت فيه فلماذا لا تنزل به الى البحر .
ـ لقد أجبتك .
ـ حاول .
ـ لا استطيع .
ـ ويغرق هؤلاء جميعا ؟
ـ انا افعل كل ما استطيع .
ـ انت تجدف في الرمال .
ـ هذا هو كل ما استطيع أن أصنعه .
ـ ساصرخ .
ـ اصرخ .
ـ لعل أحدا يسمعني .
ـ سيسمعك الكثيرون ولكن أحدا لن يجيب صراخك .
ـ لماذا ... ماذا يجري للناس ؟
ـ ان انقاذه في يدي أنا وحدي .
ـ فلماذا لا تنقذه ؟

- انا افعل كل ما استطيع •
- أنت لاتفعل شيئا ؟
- هذا هو كل ما استطيع •
- انه فى البحر وانت على الشاطىء •
هذا قدره وقدرى •
- لا تتكلم عن القدر •
- انه قدره وقدرى •
- الجبناء وحدهم الذين يرمون اخطاءهم على القدر •
- المنطق المادى يحكم افكارك •
- وانت هل لك منطق ؟
- اننى استخدم منطقى هنا •
- وهل منطقك يجعلك تملك الزورق ولاتنقذ به احدا ؟
- لان هذا الزورق خلق للرمال فقط •
- اهذا منطق ؟
- منطق لا تعرفه •
- منطق جديد ؟
- جديد أو قديم ••• لا ادرى وانما هذا هو المنطق الذى اعرفه
- ويغرق فى البحر •
- لعله ينقذ •
- كيف ؟
- اذا قدر له أن ينقذ فسوف ينقذ •
- كم كنت ارجو أن أكون قادرا على انقاذه •
- وما الذى يمنعك ؟
- لا أعرف السباحة • أو أنا على الاقل لا اجيدها •
- فحاول •
- واذا غرقت معه ؟
- تكون قد أرضيت ضميرك •
- وضميرك انت ؟
- لا شأن لك بضميرى •• اربح انت ضميرك •
وهممت أن أنزل الى الماء ولكن ثقتى اننى لا اجيد السباحة ردتنى ونظرت الى الفتى يغرق ونظرت الى الفتى يجدف فى الرمال وأوليت الجميع ظهرى وانصرفت ••

لقد كانت المعركة بيننا وبين قبيلة غطفان غاية في الصعب . وقد أصبنا منهم مقتلة عظيمة وما كان هذا الا لغياب بطلهم الصنديد رافع بن عدي . ولاشك انهم ينتظرون يوماقريبا ينالون فيهثارهم . والقبيلة منذ ذلك الحين مشغولة فيما يمكن ان تصنعه حتى حتى تتهيأ لهذا اليوم المنتظر القريب . وقد اجتمع شيوخ القبيلة يفكرون واجتمع معهم الشباب وراح كل منــا يدلي برأى ولكن ما أسرع ما كانت هــذه الآراء تواجه بالنقاش .

ــ نهاجر .

ويقول شيخ القبيلة في عظمة واعتزاز .

ــ حتى نصبح أحدوثة بين العرب ... ونترك ديارنا خوف عدو دحرناه وانزلنا به الهزيمة الماحقة ... اذا نحن هاجــــرنا يكون العدو هو المنتصر ... ويصبح النصر الذي أحــرزناه أعجب نصر في التاريخ . سيكون نصرا ترتبت عليه آثار الهزيمة .

ــ ولكننا ان واجهنا العدو ونيران الثأر تغلي في دمائه ومعــــه البطل الذي كان غائبا عنه فانه سيصيب منا قتلى كثيرين ونخسر النصر والدماء في آن معا .

ــ ان دماءنا لاشيء ... انها ما خلقت الا لتحمي كرامتنا وشرفنا يا شيخ القبيلة .

ــ الدماء دماء أب أو أخ او زوج او ابن ... انها دماء عزيزة

ــ في سبيل النصر يصبح العزيز رخيصا .

ــ فان بذلنا الدماء ولم نحقق النصر .

ــ لهذا اجتمعنا .

ويقول رأى آخر ؟

ــ مالنا لانناشد قبيلة عاصم فان بينها وبيننا أخــــوة قديمة يقول الشيخ .

ــ وما يجعلها تحارب قبيلة غطفان وليس بينهما عداوة وقبيلة غطفان قبيلة كثيرة العدد موفورة الحظ من القوة والبأس .

ــ أليست الاخوة كافية لتقف قبيلة عاصم الى جانبنا ؟

ــ كنا جديرين ان نأخذ بهذا الرأى لو كان هناك عداء بين قبيلة عاصم وقبيلة غطفان ... اما ان تثير قبيلة عاصم العداء عليها بلا داع اليه فهذا ما لا يفعله أحد .

ويقول شيخ من القبيلة في تؤدة ووقار :

ــ ان ما يلزمنا يا شيخ القبيلة هو فتى في مثل قوة رافــع ابن عدي يجعل انتصارنا على العدو مؤكداً .

ويصمت الجميع ويتكلم شيخ القبيلة بعد تريث وتفكير .

ــ بالصواب نطقت ولكن من أين لنا به .

ويصيح شاب من القبيلة .

ــ ان العراف ...

وتقاطعه اصوات كثيرة .

ــ هل صمت ؟

ــ ما للعراف وهذا .

ــ انك تخرف .

ويقول شيخ القبيلة .

ــ دعوا الفتى يكمل حديثه .

ويسود الصمت هنيهة ويعود الشاب الى حديثه .

ــ ان العراف يمر بالقبائل جميعها وهو يعرف من اخبارها مالا نعرف فلماذا لانقصــــد اليه نسأله أن يدلنا على بطــل من أبطال العرب يكون كفئا لرافع بن عدي .

ويصمت الشاب ويعود الصمت الى التحليق ويقول شيخ القبيلة

ــ الرأى ما قلت ... اذا كان الغد نذهب الى العراف .

وينفض الاجتماع ولكن شابا من شباب القبيلة يمكث حيث هو لا يريد ان ينصرف ... وانما يظل رانيا الى شــــيخ القبيلة في استعطاف ولهفة وانا أنظر اليهما لا اريد أن انصرف أو اســـــمع الحديث بين الشيخ والفتى . فانا أعرف ما يريد سليمان أن يقول واريد أن أعرف كيف سيجيبه شيخ القبيلة . يظل الفتى رانيـا

وشيخ القبيلة يتظاهر بانه لايراه وانما هو يحول عنه بصره في ضيق حتى اذا فشل سليمان في ان يجعل الشيخ يسأل ما يريد جمع كل ما فيه من شجاعة وتقدم الى الشيخ ٠

- وبعد يا عماه ؟
- وبعد فيم يا سليمان ٠
- الا تعرف ؟
- كأني أعرف ٠
- فما انصرافك عني كلما أردت أن أكلمك ٠
- أهذا وقته يا سليمان ؟
- قبل الحرب كنت تقول بعد الحرب وها قد انتهت الحرب ٠
- أترى الحرب قد انتهت ٠
- لقد انتصرنا ٠٠٠ الم ننتصر
- فعيم اذن كان اجتماعنا هذا
- لنؤمن النصر ونتأكد منه ٠
- فاذا أمنا النصر وتأكدنا منه يحق لك أن تقول وأن اسمع ٠
- يا عماه سنوات ثلاث مررن ٠
- أو عشر ماذا افعل ٠
- اعقد لي عليها ٠
- فماذا تقول القبيلة ؟
- تقول زوج ابنته من ابن اخيه ٠
- والعدو يتربص بنا ٠
- وهل لزواجي صلة بالعدو ؟
- اني شيخ القبيلة لا يجوز لي أن أفرح والقبيلة خائفة ٠
- اذن ٠
- انتظر ٠
- الى متى ٠
- الى قريب ٠٠٠ الى قريب ان شاء الله ٠

ويطرق سليمان ثم يلقي بنظرة حوله فلا يجد غيري فيقوم الى يصحبني الى عريض الصحراء ٠

- ما رأيك ؟

- لقد اخترت موعدا لايصلح لهذا الحديث ٠
- فأي موعد يصلح ؟
- حين ترى الامن يشيع بين القبيلة تقدم بطلبك ٠
- ومتى يشيع ؟
- لا أحد يعرف متى يشيع الامن بين النفوس ٠
- لا أحد يعرف ؟

وقال العراف :

- اعرف فتى لا حديث له الا الحرب وافعاله فيها وما خاضه من أهوال ٠
- هل شهدته وهو يحارب ؟
- يا أخا العرب اني عراف لا أشهد حربا ٠٠٠ هل رأيتني أجيء الى قبيلتكم منذ نشبت الحرب بينها وبين غطفان ؟
- لا ٠
- ان عملي في الحياة هو الحياة والحرب عملها الموت يا أخا العرب ان الموت والحياة لا يجتمعان ٠
- اذن فمن هذا الفتى الذي يروي عن الحرب ؟
- غضبان بن صخر ٠
- أتعرف مكانه ؟
- ادلكم عليه ٠

وجاء صخر ٠٠٠ شاهق هو الى السماء عريض الـكتفين ضخم رائع التكوين عظيم البنيان ٠٠

- كم شهدت من حروب ٠٠٠ وان عملي فيها بسيط ٠٠٠ فانني اتولى القيادة دائما وما هي الا ان أجيل السيف جولة أو جولتين حتى يدرك الاعداء ان لا أمل لهم وما هي الا اغماضة عين أو التفاتتها حتى تكون الحرب قد انتهت ٠٠٠ في يوم من الايام نشبت الحرب بين قبيلة بهنس وفزارة ٠٠٠ وكان البهانسة اصدقائي فارسلوا الى رسولا ٠٠٠

وقص غضبان وقص وكنت أحس مع كل قصة من غضبان نوعا من الامن والطمأنينة يشيع في نفوس القبيلة فتشرق به وجوههم وسأل شيخ القبيلة ٠

ـ ما اجرك ؟

ـ ما نوع الحرب ؟

ـ يريدون أن ينتقموا من يوم هزمناهم فيه ٠

ـ فهي شر أنواع الحرب ٠

ـ فتكن ما تكون ما أجرك ؟

ـ اجمعوا لي خمسين ناقة سليمة لا عيب فيها ولا أود ٠

ـ وبعــــد ؟

ـ أرسل النياق الى أهل بيتي ثم اقيم معكم حتى يوم الكريهة٠

ـ أتأخذ النياق قبل الحرب ٠

ـ هكذا تعودت ٠

ـ ليكن لك ما أردت ٠

ـ واني أحب أن اشرب الصبوح والغبوق ٠

ـ وخمر أيضا ٠

ـ لا أعيش بغيرها ٠

ـ ولك ذلك ٠

ـ أما افطاري فقعب من اللبن وامامن السمن وعشرة أرغفــة وغدائي شاة وعشائي ٠٠٠

ـ وعشاء أيضا ؟!

ـ ان لم آكل فكيف أحارب ؟

وعشاؤك ؟

ـ لا أحب أن اثقل في العشــــاء حتى يحسن نومي ٠ نصف شاة يكفي

ـ لك ما أردت ٠

ـ والنصر مؤكد لكم ٠

ـ وأقام غضبان بيننا يروي عن أعماله ٠٠٠ وانصرفت القبيلة جميعها الى أعمالها فقد آمنوا أن الحرب لن تنال منهم شيئا مادام معهم غضبان ولم يعد حديث الحرب يدور بينهم الا اذا حلــوا حول غضبان يسمرون ويستمعون الى أحاديثه عن حروبه التي لا تنتهي وكنت جالسا الى جانب سليمان حين التفت الى فجأة ٠

ـ لقد شاع الامن في النفوس ٠

نظرت اليه ثم قلبت نظري في وجوه القبيلة ٠٠٠ نعم لقــــد شاع الامن ٠

ـ نعم لقد شاع الامن ٠

ـ لقد صدق قولك ٠٠٠ لا أحد يعرف متى يشيع الامن ٠

ـ نعم ٠٠٠ لا أحد يعرف ٠

ـ لقد شاع الامن مع أن الحرب لم تنته ٠

ـ تستطيع اليوم أن تتقدم الى عمك ٠

كان الفرح عظيما ٠٠٠ واجتمع الحبيبان بعد طول انتظــــار وفرحت القبيلة باجتماعهما فقد طالت بهم فترة القلق والخــوف وكانت النفوس منهم تهفو الى فرح ٠٠٠ أي فرح أكان فــــرح بنت شيخ القبيلة ٠٠٠ ومرت شهور طويلة على العــــروسين وبشرت العروس بمقدم طفل يحبو في أفناء الخيم ٠ ورفرفت السعادة على القبيلة لايذكر هم بالحرب الا وجود غضبان بينهم يروي عن بطولاته ويتناول مآكله الدسم وان كان هذا المأكل لم يصبح له وحده وانما كان يشاركه فيه كثيرون من أبناء القبيلة فقد اتضح منذ اليــــوم الاول انه ليس أكولا نهما كما أحب أن يصور نفسه لابناء القبيلة٠ وان كان في شرب الصبوح والغبوق يكثر ولكن اكثاره ما يلبث أن يتحول الى أحاديث يمتع بها مستمعيه من أبناء القبيلة ٠ ولعلهم من أجل هذا كانوا يلحون عليه أن يستمر في الشراب كلما أحب أن يكتفي ٠

لقد نشأ بين غضبان وأبناء القبيلة جميعــــا نوع من الالفــة والحب والاكبار من جانبهم والايناس من جانبه ٠

حتى كان يوم فوجئنا فيه بنعمان أحد تجار القبيلة يدخــل الى أفناء الخيام يركض فرسه كالسهم النافذ ٠٠٠ وقبل أن يوقف فرسه صاح :

ـ لقد جاء اليوم ٠

وما هي الا لحظة من بصر حتى كانت القبيلة جميعها حوله ٠

ـ كنت في السوق فرأيت جماعة كبيرة من النــــاس وسمعتهم يذكرون اسم قبيلتنا فلم أشعر شيئا وجئت أسابق الريح ٠

ـ متى تظنهم يصلون ؟

– قبل أن تغرب الشمس

وصاح شيخ القبيلة :

– يومك يا غضبان .

ونظر الجميع الى غضبان ... لم يكن غضبان هذا الذى نرى ... لقد امتقع وجهه فهو ابيض ناصع البياض ... وزاغت عيناه فهى حائرة فى محاجرها كأنما تريد أن تغور داخل رأسه .. بل جسمه الشاهق الضخم أصابته الضآلة فهو بعض من جسم غضبان جميعه بعض من انسان ... وثقل لسانه وهو يتعثر فى فمه .

– بل هو يومكم أنتم .

– يومنا نحن بقيادتك .

– أنا لم أحارب فى حياتى .

– ماذا ؟

انطلقت صرخة داهشة من الجميع ... واستغلق الامر لحظات على شيخ القبيلة ولكنه سرعان ما تماسك ونظر الى غضبان ثم قال فى تؤدة ووقار :

– احبسوا هذا الرجل حتى تنتهى الحرب ثم نرى فيه رأينا .

وهجم الى غضبان بضعة فتيان كنت منهم وكان معى صديقى سليمان ولم يلتفت غضبان الى أحد منا وانما نظر الى سليمان وقال فى تؤدة

– اما أنت يا سليمان فلا .. انت لا أجيز لك ان تقيدنى .

وبهت سليمان لحظات ولم يدر ما يقصده غضبان الا انه ترك الحبل من يده وتولينا نحن قيد غضبان والقينا به فى خيمته وقد لاحظت عليه شيئا غريبا .. لم يعد ذلك الشخص الذى كانه منذ لحظات ... لقد بارحه الخوف وعادت اليه الطمأنينة التى عهدناها فيه ولو لم نكن مشغولين بالجيش الوافد ولو وجد منا اذنا صاغية لراح وهو فى قيده يقص علينا بطولاته فى الحروب التى خاضها .

***

راح شيخ القبيلة يستعد للحرب فالقبيلة جميعها تهيىء السيوف

وتعد الخيل وشيخ القبيلة يحدد لكل منهم موقعه وما عليه أن يعمله .

وجاءت الجيوش آخر الامر .. وبادرنا نلتقى بها قبل أن تصل الى الخيام وكانت مفاجأة لم تخطر لنا على بال .. لم تكن جيشا لقد كانوا جماعة من قبيلة عاصم لم يتبين نعمان حقيقتهم فقد هيأ له الخوف انهم جيش غطفان وما لبث شيخ قبيلتنا ان رحب بشيخ قبيلة عاصم ودعاه هو ومن معه الى الخيام لينال الراحة والضيافة .

لقد جاء شيخ عاصم ليعقد صلحا بيننا وبين قبيلة غطفان وذكر ما طلبوه من دية وكانت مائتى بعير ولم ينتظر شيخ عاصم حتى نبحث الامر بل سارع يقول :

– وانى اقدم من عندى خمسين بعيرا هدية منى اليكم حتى يعود السلام الى الربوع .

وقبلنا الصلح فما أعظم أن ننتصر وندفع ثمن نصرنا هذا العدد من الجمال .

***

– فأنت اذن ياغضبان كنت تسرقنا .

– أنا يا شيخ القبيلة ؟

– ألست انت من أخذ الخمسين ناقة وأقمت ..

وقاطعه غضبان ..

– لا تذكر المأكل والمشرب يا شيخ القبيلة فانك أكرم من أن تذكر مثل هذا .

وصاح سليمان :

– ليكن ... فماذا انت قائل عن الخمسين ناقة .

وقال غضبان :

– اسكت انت يا سليمان .

– عجيب امرك معى .. رفضت ان اقيدك وانت الآن ترفض أن أحاسبك ... ما شأنك معى .. ؟

– انك أكثر ابناء القبيلة انتفاعا بما قدمت .

– لم تقدم الا الاحاديث المزوقة وأخبار الحروب الوهمية التى خضتها والبطولة الرائعة التى ادعيت أنك صاحبها .

ونظر غضبان لحظات الى سليمان ثم راح يجيل عينيه فى ابناء

القبيلة فوجد عيونهم جميعا تنتظر جوابه ونكس راسه هنيهة ثم رفع راسه فى هدوء وثقة .

ـ لقد قدمت اليكم بهذه الاحـــاديث أعظم ما كنتم تفتقدونه ولا تجدونه .

ـ أنت ؟

ـ قدمت اليكم الامن .. قدمت اليكم الاطمئنان .

وكأنما كانت هذه الكلمة فى واد سحيق بعيد عن اذهان الجميع ... نظر أبناء القبيلة بعضهم الى بعض ثم التقت عيونهم جميعا عند شيخ القبيلة فوجدوه صامتا صمت المفحم الذى لا يجد ما يقول واستمر غضبان فى حديثه موجها كلامه الى سليمان ما يزال .

ـ بهذا الامن وهذه الطمأنينة تزوجت يا سليمان وجد الفرح سبيله الى قبيلة كانت قبل إن أجيء مفزعة فى صباحها ومسائها طعامها قلق وشرابها شغل وتفكير .. أكثر ما أخذته منكم مقابل ما اعطيتكم ... لقد نلتم المقابل ... نلتموه كاملا ... أليس كذلك يا سليمان .

لم يكن يسرى فقيرا فى القرية ولكنه كان تافها فى زحامها ، محتقرا بين أهلها لا يشعر به أحد رغم جهده الجهيد أن يشعر الناس به • فقد كان لا يترك وسيلة يذكر بها الناس انه حى ، وانه يسعى بينهم وانه ليس نكرة من النكرات الا سعى اليها حثيثا ، وقد كان يحصل دائما على هزء الناس والسخرية به الا انه لم يستطع قط ان يحصل منهم على ما يريد من شعور بوجوده وانه حى •

ولم يكن غناه فادحا ، ولكنه ـ مع ذلك ـ كان يدعو الى الولائم فى كثير من الاحيان • وكان الناس يلبون دعوته ، ولكنهم ما أن ياكلوا ويتركوا بيته ، حتى ينسوا أمره ، وكأنه لم يكن •

ولم يكن يسرى مؤمنا بالله ، وما كان يصلى ، ولكنه مع ذلك حريص على ان يشهد صلاة الجمعة مرتديا أجمل ما عنده من الملابس، لا ينسى ان يلبس رباط عنقه الاحمر ، مقتنعا ان اللون الاحمر أكثر الالوان استرعاء للانظار • ولكن الانظار ، مع ذلك ـ كانت تأخذه فهو موجود بغير وجود ، حاضر خير منه الغائب •

وكان يسرى يحرص أيضا على ان يخطب الناس بعد كل صلاة جمعة • ولم يكن طبعا يستطيع ان يحدثهم عن عدم ايمانه • فهو مع كل حرصه على أن يذكر الناس بوجوده ، أكثر حرصا على ان يظل على قيد حياة •• أية حياة ولو أنه أطلع الناس على ما يعتمل فى نفسه من عدم ايمان ، لاصبح موته بأيديهم أمرا محققا •

وانما كان يسرى يخطب الناس فى وجوب اعطاء الفقراء والمساكين والاحسان اليهم ، ولكن لم يقدر له أبدا ان يكمل خطبة الى النهاية

التى يريد ان ينتهى اليها • فما هى الا جملة واخرى ، حتى يصبح المسجد فارغا من الناس اجمعين •

فما كان احد من أهل القرية ليلقى اليه سمعا ، وهم يعلمون ان الاحسان عنده كلام ، والشفقة بالمساكين عنده شقشقة ، وكفاهم دليلا على ذلك ما يعانيه منه عبد السميع ومحمدين وشفيق الذين يستاجرون أرضه • فان أحدا فى القرية لا يعانى من الفقر والذلة والهوان والقهر ما يعانيه هؤلاء الثلاثة الذين قدر لهم ان يكونوا اجراء عنده • وما طالما عرضوا انفسهم على الملاك الاخرين ، ولكن احدا لم يستطع ان يعينهم • فالمستأجرون فى القرية يرثون الارض عن آبائهم ولا يستطيع مالك ، بل ولا يحب ان يخرج أحدا من أرضه ليعطيها الى آخر •

وقد ضاق محمدين بمالك أرضه يسرى • وضاق بالقرية جميعا فتركها الى أرض الله ، ولم تعد القرية تعلم عنه شيئا •

وظل عبد السميع وشفيق يستأجران ارض يسرى وحدهما • بعد ان حاول أن يجد مستأجرا آخر بدلا من محمدين فذهبت محاولاته سدى •

فالكلام منه اذن عن وجود الاحسان خليق ان يجعل اهل القرية سينصرفون عنه ، حتى ان لم يتوافر هذا السبب فقد كان أهل القرية سينصرفون عنه ايضا ، لانهم لا يشعرون ان له وجودا أو مكانا •

كان هذا الشعور بالضياع والاهمال يملأ نفس يسرى ، ويجعل نفسه تفيض مرارة وحقدا ، فهو حاقد على كل غنى له بين القرية توقير واحترام ، وهو حاقد على كل متعلم يقول فيسمع الناس فى انصياع واحترام • وهو أشد حقدا على المحترمين فى القرية دون ان يكون لاحترامهم سبب ظاهر الا أنهم محترمون • فقراء هم ولعل بعضهم لم يصب من العلم الا قليلا ، ولكن أهل القرية يحترمونهم ، ويقصدون اليهم ان طلبوا الرأى ، وينزلون عندما يشيرون به •

نار من الحقد تفتك به •• نار من داخله • لا سبيل ان يصل اليها شىء الا ما يزيدها أوارا واشتعالا •

يخرج يسرى فى كل يوم الى ظاهر القرية ، وينظر اليها فى كره

شديد ، والم عميق ، ومرارة قاتلة ، ويظل قابعا منزويا كوحش كسير يحاول ان يتربص باعدائه المصائب ، فتحدله الدلة ، ويقعد به الهوان

وبينما هو كذلك ، سمع حوادا يركض ، ويهز الارض باقدامه ، واقترب الصوت واقترب ، حتى تكشف عن الحصان وراكبه .. أما الحصان فمجنون أرعن ، واما صاحبه فخائف هالع .

– اين انا
– لا ادرى
– الا تعرف اسم القرية التى انت منها .
– المنشية .. من اين انت قادم ؟
– لا شأن لك .. اتشترى هذا الحصان .
– ماذا
– الم تسمع .. لا وقت عندى للدلع .
حصان .. أيشترى هو حصانا .

وما الناس .. واى شىء سيحصل أهل القرية يحسنون به خيرا من هذا الحصان .. الحصان جاء .. الحصان ذهب .. ليس فى القرية من يملك حصانا .. ولكنهم لن يقولوا يسرى جاء او ذهب .. الحصان فقط لا بأس ابدا .. يكفى ان يذكرهم الحصان به .

– ولكن هذا الحصان مخيف .. اراه لا يكف عن الحركة العنيفة
– هذا دليل الحيوية .
– الكثير منها يقتل .
– ألت صاحبه .. أخدمه يخدمك
– ولكن لماذا تريد ان تبيعه
– امو تحقيق ؟
– لعلك سرقته
– بالمرض .
– قد يراه صاحبه فاحسره .
– اسمع . الامر المؤكد ان صاحبه لن يحاول أن يسترده .
– هاندا .. اركبا امامك ، واعرضه عليك ، ولا وقت عندى للكلام الكثير ، أتشترى أم امشى .

– اكم تريدفيه .

واشترى يسرى الحصان ، وحاول ان يركبه فنفضه الحصان نفضة عنيفة الى الارض احس معها ان عظامه تنسحق ، فسحب الحصان ومشى يتكفأ حتى بلغ منزله فى عتمة من الليل ، وادخل الحصان الى حجرة نومه الخاصة ، وذهب الى حيث السكر ، فاحضر جميع ما فى البيت منه .

وبعد أسبوع استطاع يسرى ان يركب الحصان ، بعد ان انس اليه .
وفعلا بدأت القرية تتكلم عن الحصان ، ولكنها – كما توقع يسرى – لم تتكلم عن يسرى .

كان يسرى يربط الحصان فى الغيط مع جاموسته ، ويذهب الى مايبتغى من اعمال . وبينما هو جالس فى بيته .. اذا بشخص يعدو اليه .

– يسرى .
– نعم .
– حصانك قتل عبد السميع .
– ماذا ؟

حاول عبد السميع أن يركبه فجرى حتى القاه فى الترعة واغرقه ، واصبحت الحكاية احدوثة فى القرية لفترة طويلة . ويسرى سعيد كل السعادة بموت عبد السميع الذى جعل الناس يتحدثون عن حصانه كل هذا الحديث .

كان الحادث فى القرية شيئا عظيما . فهو ريح شديدة العصف تمر على الماء الراكد من اثر الملالة . فالناس لا يجدون فى القرية ما يتحدثون عنه . فاذا مر بحياتهم حدث كهذا اصبح تاريخا يعتبر الذين عاصروه خالدين فى حياة القرية وتاريخها .

ولكن حصان يسرى لم يترك لهم فرصة طويلة يلوكون فيها حادث القتل الذى ارتكبه . بل هو يعاجلهم .

– يسرى .
– نعم .
– حصانك .
ماله ؟

– فقأ عين عبد الشافي بن سعيد أبوفرابي .

– ماذا .

وفي هذه المرة يذهب سعيد الى يسرى ، ويمسك بخناقه ، مقسما باغلظ الايمان انه قاتل الحصان ، او قاتل يسرى .. ويتجمع الناس ويحولون بين سعيد ويسرى ، وتبدأ المفاوضات . ويسر سعيد فقد احس الناس به هو اخيرا . وها هم اولا يجتمعون حوله ، ويفاوضونه ويفاوضهم .

وتتوالى احداث الحصان . فهو يقطع حبله ، ويعتدى على برسيم الاخرين وهو ينطلق في القرية في جنون احمق يكسر ارحل الناس وابوابهم ، أو يوقع ما يفرشون به على بهائمهم . أو يعتدى على هذه البهائم فيجعل اصحابها يعودون بها الى السكن . ولعل أشد ما آلم الناس من الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى اقامها اجداد أجدادهم هناك عند مجرى النيل . فقد دخلها الحصان ، فهدم قواعدها ، ومزق الحصير فيها . ولعل هذا الحادث بالذات هو أسعد ما سعد به يسرى ، حتى لقد اغدق في مساء هذا الحادث على حصانه من السكر قدرا لم يشهده الحصان من قبل .

اصبح يسرى هو شغل القرية الشاغل ، واصبح الناس يبتعدون عن مكان الحصان قدر جهدهم . والقى الحصان على القرية ظلا من الرعب ثقيلا . وليس افتك بالانسان من الخوف ، ولا يزرى بالانسان شيء قدر شعوره أن الذعر والهلع يحيطان به من كل جانب وما اشد الهول حين يكون العدو حيوانا اعجم ، لا يعقل ولا يفهم وانما يضرب لوجه الخراب بلا هدف ولا فكرة ولا غاية ينتهى اليها ، ويسرى سعيد . فليمت الناس من الخوف او من الغضب . فلقد اصبح هو شيئا يذكر ، ومقصدا يسعى اليه .

وفي يوم صحا يسرى من نومه ، وذهب مسرعا الى حصانه .. مجده وعزه وأمله الذى تحقق وذكره الذى ذاع واسمه الذى انتشر ماذا .. ؟ ما الذى جعل الحصان في هذا الشكل الذى هو عليه لا يمكن .. غير معقول .. لقد مات الحصان .. مات كيف .. لا يهم قسموها مات .. لا يهم .. هل مات من كثرة السكر .. لا يهم .. لقد مات .. أحس يسرى أن السه هو هذا الممدد جسدا من غير

روح .. وهما قريب يصبح عدما بلا جسد ولا روح .. لا يمكن .. غير معقول .. ان حصاني لا يموت .. إنه لا يموت .. لا يموت .

وفجأة انتفضت في جسم يسرى المرارة التى اختزنها قبل أن يعرف الحصان وانتشر في جسده الحقد الذى دفنه فيه طوال عهد الحصان ، ووجد نفسه يحمل الحصان الميت ، ويخرج به من البيت، محطما باب البيت ، صارخا في الناس ، وهو يعدو في كل متجه .. إنه لم يمت ان حصاني لم يمت ان حصاني لا يموت .. لا يموت .. لا يموت .

وما هي الا صرخات قليلة . وخطوات اقل من العدو الاحمق الغريب المجنون حتى انهار يسرى ومن فوقه الحصان يكتم انفاسه القليلة الباقية .

واختلط الجسدان حتى لا يستطيع احد أن يستبين أحدهما من الاخر . وقبل أن يدركه أحد تلحق روحه روح الحصان الذى نفق ، ويتجمع حوله اهل القرية . ولا تلتقى نظرات ولا كلمات ، وانما يشيع أمن انساني فارق الانسان فيهم حينا ثم عاد .

لحظة سعاده

كان سعيدا منشرح الصدر وهو يفكر .. كانت لحظة من هذه اللحظات القليلة التي يشعر فيها الانسان أن الحياة تعطيه بقدر ما يريد منها أن تعطيه ودون أن يدري السبب راح يفكر في السبب الذى بث في نفسه هذه السعادة التي يشعر بها ومالبثت هذه الفترة أن بعدت عن مسار تفكيره .. وما لبث أن قال لنفسه اني سعيد لأنى سعيد ... وأخشى ما أخشاه أن أبحث عن أسباب سعادتي وانقلب بفعل يدى تعيسا وأسباب التعاسة دائما أكثر وفرة من أسباب السعادة ... وهل هذا كلام رجل سعيد ... انه كلام أى انسان ولكنك لست أى انسان . انك رجل سعيد ... حسنا فلأظل سعيدا اذن دون محاولات سخيفة لتعميق أسباب السعادة ... هل هي قليلة لحظات السعادة هذه الى هذا الحد .. هل هي قليلة لدرجة أنى اقتنصها من الحياة اقتناصا ولا أحاول حتى أن أبحث أسبابها وما دعت اليه ... اني سعيد بزوجتي .. ولكن سعادتي بها لاتكون لى لحظات سعادة ... أنا أحبها وأعلم أنها تحبنى .. وهي شريفة بحكم تكوينها وهي تعمل دائما على اسعاد بيتها وليس بيني وبينها الا هذه المشاجرات التي تدل على أننا أحياء ولو أنها مشاجرات كثيرة وعنيفة في بعض الأحيان معا ينبىء على أننا أحياء جدا ... ولكنها جميعا مشاجرات طبيعية لابد أن تنشأ بين اثنين نشأ كل منهما في بيت ثم جمعهما بيت واحد يعلمان انهما سيقضيان فيه ما بقى لهما من حياة ... قد تشعر هي بالضيق أحيانا أو قد يشعر هو بالضيق أحيانا وقد تكون هذه الأحيان كثيرة وقد تتلاقى هذه الأحيان من الضيق فتكون مشاجرة لو بحث كلاهما أو أحدهما عن سببها لاتضح على الفور مقدار سخافتها .

لماذا أفكر فى كل هذا ••• من أجل لحظة سعادة ••• الم تكن لى لحظات سعادة كثيرة وانا طفل ••• لماذا يقول الناس طفولة سعيدة ••• اظن السعادة هنا يقف وراءها الجهل •• انهم سعداء لانهم لايعرفون كيف يكونون تعساء ••• ولكنى مع ذلك أذكر من طفولتى لحظات سعيدة • والآن فقط ادرك اننى كان يجب أن أعتبر طفولتى سعيدة ••• يبدو أن الأطفال يعتبرون سعادتهم قضية مسلما بها لاتقبل النقاش •• فحياتهم مهما تكن سعيدة يعتبرونها هم عادية • ولا يذكرون منها الا لحظات السعادة الخارقة للعادة ولحظات التعاسة العادية •• كانت لحظات سعادتى هى تلك الاوقات التى أقضيها فى قراءة القصص •• قصص الاطفال • كنت أحس اننى أعيش فى عالم آخر غير هذا الذى أعيش فيه •

لماذا يعتبر البعد عن العالم الذى أعيش فيه سعادة ••• لماذا يقول الناس هذا دائما كلما احبوا أن يعبروا عن سعادتهم •• هل العالم الذى نعيش فيه سيىء الى هذا الحد وان كان سيئا أهو هكذا بالنسبة للأطفال ••• لماذا يحبون أن يعبروا الى عوالم اخرى من قصص علاء الدين والسندباد وعلى بابا والاربعين حرامى وقصص الجان وغيرها وغيرها •

والكبار ••• الا يتشبثون بعالم آخر ••• ما الحياة عندنا اذا كانت هى هذه الحياة فقط ••• سبحان خالق الناس ••• عرف نفوسهم وعرف حياتهم فوعدهم بحياة اخرى يلقون فيها السعادة التى لم يعرفوها من الدنيا ••• ولكنى الآن سعيد ••• لحظة •• او لحظات ثم تعود الحياة حياة • اقصى ما اطمع فيه منها الا ترزانى بلحظات تعاسة وتصبح ايام الملل والوتيرة الواحدة سعيدة ••• سعيدة لأنها ليست تعيسة •••

اننا نبحث فى حياتنا هذه عن السعادة من اى سبيل ••• نرى السعادة فى نظرة الى أبنائنا ••• فى أبنائنا ••• فى ابتسامة على شفة لهم ••• فى ضحكة ••• فى مجرد جلوسهم أمامنا مشغولين عنا بالنظر الى التليفزيون •

ما السعادة التى يهبها لنا أطفالنا •• هى ما قبل الرعب الذى يلقون به فى نفوسنا ••• الهول المبين الذعر الأخاذ الوبيل ••• اذ مرض أحدهم أو اذا وهمنا أن مرضا يهدد واحدا ••• وحين يزول المرض وحين يزول الوهم تعود نفوسنا الى الصفاء وتعود

الينا السعادة ••• ما أعظم الثمن الذى ندفعه لقاء السعادة من اطفالنا •

ويل لى لحظة سعادة واحدة تفعل بى هذه الافاعيل ••• ماذا احاول أن أعرف ••• هل فرض على فرضا أن أبحث عن سبب هذه السعادة ••• ألا يكفينى أنى سعيد •••

لنبحث أولا ••• ما هى أعراض السعادة التى أعانيها ••• ويل الا أعرف أعراض السعادة أهذه أيضا لاتحتاج الى شرح••• ألا أعرف هذه الاشراقة التى تشيع فى النفس فاذا النفس بهجة واذا هى متطلعة الى المستقبل الوردى الصافى والى الحاضر وكأن سعادة العالم تجمعت فيه ••• هذه هى حالى الآن ••• لماذا ••• وما يهمك لماذا مادمت سعيدا •••الا تخشى أن تفقد سعادتك وأنت تبحث فى هدوء دون هذا البحث السخيف ••• وتتفلسف أيضا وتريد أن تظل سعيدا ••• يقولون ان الفلاسفة هم السعداء بل يقولون ان السعداء هم الجهلاء •• كلا القولين غير صحيح ••• فأنت سعيد ولست جاهلا الى درجة أن يقال عنك جاهل ولست فيلسوفا الى درجة أن يقال عنك فيلسوف •• ولكننى لست سعيدا ••• ماذا هل فقدت السعادة •••أقصد أنى لست سعيدا سعادة الفلاسفة ولا الجهلاء ••• كل ما فى الأمر أنى أشعر بلحظة سعادة •••

لعل لقائى بالأمس مع سهام أمدنى بهذه السعادة • لقد احسست بالسعادة فعلا فى لقائى معها ولكن اللقاء كان يشغلنى عن الشعور بالسعادة ••• وانتهى اللقاء وعدت الى حياتى اليومية ومرت بى لحظات رضى ولحظات ضيق فلا شأن لسعادتى الراهنة بلقائى مع سهام ••• هى حبى وهى الوحيدة فى هذا العالم التى تستطيع أن تمسح عن نفسى خمولها وآلامها وانا اسعد بلقائها واهب لها كل ما تريد ولكن الحياة تلاقينى بعد ذلك وأرى فيها الخير وأرى فيها الشر واحيا كما يحيا الناس حتى التقى مرة أخرى بسهام ••• بهذه السعادة التى احسها اذن سعادة جديدة من نوع آخر ينتابنى بلا مقدمات ولهذا ابحث عن اسبابه ••• ألابد أن تبحث ••• رجعنا ثانية الى هذا الحديث • وهل السعادة مع سهام خالصة

أتعبنى لنفسى أم لما أقدمه لها من مال ... انى أقدم المال وأسعد ... لا شئ يهم بعد ذلك . أم تراه يهم ... !؟

لعلك سعيد لهذه المرافعة الرائعة التى قـ ـا فى قضية الأمس ... أهى المرافعة الوحيدة التى رضيت عن نفسـ ـيها ... اننى أعمل فى المحاماة منذ سنوات طويلة ويقولون ا محـام ناجح واعرف أننى ناجح ومعرفتى هذه تجعلنى التقى قضية وانا احتشد لها وكأننى محـام ناشئ ثم أحتشد لها وورائى تاريخى الطويل فى ساحة القضاء ... أرى أنك بدأت تترافع ... طبيعة ... ماذا أفعل فيها ... المهم أن لحظة السعادة التى أمرح فيها الآن لا صلة لها بمرافعتى .

اسمع ... الا يجوز ... مجرد فكرة لاتسخر منها ... الا يجوز ان يكون حديثك التليفونى مع صديقك اسماعيل قد أرسل اليك بهذه اللحظة السعيدة ... أرى انك بدأت تخرف ... انى كثيرا ما أحادث الاصدقاء ولاشك انهم يرسـلون الدفء الى قلبى ولكن لو اننى شعرت بهذه لمجرد حديث مع صديق لاصبحت حياتى كلها سعادة بلهاء ... سعادة لا قيمة لها لانها ستصبح سـعادة غبية سخيفة .

اسمع ... طالما سمعت ... اسـمع ولا تعقب ... انك سعيد لانك سعيد ... هذا آخر ما وصلت اليه ... ما اشد سخفك بل انت السخيف ... أرأيت انك تريد أن تفسـد على سعادتى ...

اسمع اننى لن أبحث عن السبب ... انى الآن سـعيد ولايهم لماذا ... انى سعيد وكفى ...

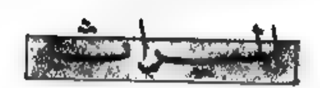

ليس غريبا أن يكون بينهما هذا الخلاف الذى وصل الى أقصى مداه · وليس غريبا أن يكون بينهما هذه الكراهية الشديدة وهذا المقت المرير · لقد ورثا الخلاف والكراهية والمقت فيما ورثا عن أبويهما .. وهما الآن وجيهان لكل منهما أنصار وأعوان وقدنسى كل منهما كما نسى أنصار كل منهما قصة الابوين·

اما أبو الاول الذى أصبح اليوم أسعد بك فقد كان المعلم أنور · بدأ حياته فى حى السيدة زينب وقد زحف اليها من الريف حين ضاقت به بلدته « شبيا » فأصبح لا يجد بها قوت يومه فهى قرية مزدحمة يتخاطف أهلها الرزق وهو لايرى فى الزحام طريقا وحالفه الجوع حتى أصبح لا يأبه كثيرا بالشرف فكان يختطف العيش اختطافا فيه قسوة أحيانا كثيرة وفيه الحيلة فى احيان قليلة ولكن لم يكن هذا الاختطاف ليستطيع أن يستمر طويلا فضاقت به القرية ولم يجد مناصا آخر الامر الا أن يزحف الى القاهرة · الزحام أشد ولكن هذا الزحام كان بالنسبة اليه كالصحراء البكر · فهناك لن يعرفه احد وهناك يستطيع ان يمارس اختطافه بالحيلة دون ان يحرجه ضيق المكان أن يجد الفريسة ولم يكن يستبعد أن يستعمل القسوة اذا كان لابد ان يستعمل القسوة · وزحف الى القاهرة ·

غريب فى حى السيدة والقاهرة يومذاك بها كثير من الاراضى الخالية فماذا عليه أن يتخذ من خرابة مسكنا وماذا عليه لو اقام بيته من بعض خشب · ومن أين له الخشب · ادرك انه لو ظهر على حقيقته فى أيام اقامته الاولى فلن يلبث شارع الملك الناصر أن يبغضه كما نبذته بلدته شبية قصد الى تاجر اخشاب ·

ــ أعمل عندك ·

ــ وماذا تحسن أن تعمل ؟

ــ احمل الخشب ·
ــ لا بأس فان لك جسما قويا ·
ــ فقط أريد بعض خشب مقدما اقيم به الحجرة التى ساسكن بها ·
ــ أنت ···
ــ غريب قادم من الريف ·
ــ ومن يضمن لى أنك ستبقى حتى تفى بثمن الخشب ·
ــ الخشب نفسه ·
ــ معقول ·

وهكذا بنى حجرته بقطعة ارض وجدها خالية ولم يفكر أن هذه الارض لابد ان يكون لها صاحب أو هو فكر ولكن لم يشأ ان يتخذ اجراء معينا ازاء هذا التفكير · المهم أنه أقام الحجرة واقام ·

كان صاحب الارض رجلا غنيا ذا بطش وسلطان · حتى نما الى سمعه أن انسانا تجرأ وبنى حجرة بملكه ، ترفع أن يذهب اليه وانما أرسل اليه بعض أتباعه ·

ــ كيف اقمت هنا ؟
ــ بنيت هذه الحجرة واقمت ·
ــ الا تعرف ان لهذه الارض صاحبا ·
ــ هل أنت صاحبها ؟
ــ انا تابعه ·
ــ اريد أن القاه ·
ــ لا يلقى أمثالك ·
ــ وماذا يضيره ان القاه ؟
ــ لا يلقى امثالك ·
ــ الا يملك الا هذه الارض ·
ــ بل يملك البيوت المحيطة بها جميعا ·
ــ الا يسكن فى هذه البيوت جميعها فقير مثل ؟
ــ ولكنهم لا يلقونه ·
ــ اصنع لى هذا المعروف ·
ــ ولماذا أصنعه ·
ــ لعل انفعك فى بعض الايام ·
ــ أنت ·
ــ الا تعرف الفار الذى خلص الاسد من المصيدة ؟

- حكاية .
- لابد سمعتها .
- فأنت تعرف انى أسد .
- وانى فأر .
- سأجعلك تلقاه .
- ماذا يضير سيادتك أن أقيم بهذه الارض الخالية ؟
- يأتى يوم وتدعى ملكيتها .
- بل سأجعلها نظيفة ويوم تريد طردى فما هى الا بضعـــة اخشاب احملها فى يدى وامضى الى حال سبيلى .
- تدفع أجرة ؟
- اصـــرك .
- عشرة قروش فى الشهر .
- ولكن الارض خالية .
- ولو .
- وسأحرسها لك .
- مثلى لا تحتاج أملاكه الى حراسة .
- ألا تجعلها خمسة . .
- عشرة قروش فى الشهر .

ومضت الايام وأحس أنور انه يستطيع ان يكون كما يريد ان يكون فقد طال مكثه فى الحى وثبتت اقدامه وبدأ يعود الى نفسه التى صحبها معه من القرية .

فوجىء المالك الكبير بانابيب المياه فى بيـــوته تنفجر كل يوم وادرك أن أنور هو فاعلها .

- لا اريدك فى أرضى .
- أنا تحت أمرك .
- أنت لا ترعى الجميل .
- وأين الجميل ؟
- الم أتركك تسكن فى أرضى .
- كنت أدفع اجرا .
- ولكنى تركتك تسكن .
- بصـــرقى .
- اذا أعفيتك من الاجرة توقف أعمالك .

- انا لم أعمل شيئا .
- استطيع ان أضربك كل يوم علقة حتى تترك الحى جميعه .
- ولكنى لم اعمل شيئا .
- لاتعد الى ما صنعت ولا تدفع الاجرة .
- شكرا ولكنى لم أصنع شيئا .
- لمـــاذا صفحت عنه ؟
- لو اخذته بالشدة لم آمن ان يظل فى تخريبه
- تستطيع ان تخرجه من الحى كما قلت .
- ويستطيع ان يجىء اليه خلسة فيرتكب جرائمه ويرجع من حيث اتى . هو الآن تحت أعيننا على الاقل .

اذن فالحكاية أثمرت . بهذا اذن يستطيع أن يصنع ما يشاء .

ذهب انور الى مولد السيدة واصطنع صداقة مع فتوة الحى فاصبح هو الفتوة واصبح من الميسور عليه أن .

- قطعة الارض .
- ما لها يامعلم أنور ؟
- اقبلها هدية من سعادتك .
- قطعة الارض جميعها .
- حتى احافظ على المبانى الاخرى .
- اليس كثيرا يا معلم أنور ؟
- لابد ان أبنى لى بيتا .
- يحد نصفها .
- اذن احافظ على نصف الاملاك .
- امرك ... خدها كلها .

وفعلا بدأ أنور يبنى بيته وحين يعلو البيت لابد أن يحفر الارض واذا بالارض تنكشف له عن كنز عظيم واصبح أنور فى ضربة أرض أغنى اغنياء حى السيدة ولكن المال لم يخلص اليه هكذا سهلا هينا وانما نبت له رجل لايدرى عنه الا انه بنى الهوى .

- هذا المال ملكى .
- أى مال ؟
- هذا الكنز الذى وجدت .
- أنت الذى خبأته هنا ؟

ـ لا وانما اجدادى ٠
ـ من ؟
ـ اجدادى ٠
ـ ولماذا لم يدلك اجدادك على مكان الكنز ؟
ـ كان آبائى كلهم يعرفونه ومات أبى دون ان يخبرنى به ٠
ـ فمن أدراك أذن أنه كنزك ؟
ـ أنه فى هذه المنطقة ٠
ـ وتتوقع منى ان اعطيك اياه ٠
ـ اذا شئت العدل ٠
ـ فان لم أشأ ٠
ـ فالقـــوة ٠

وقتل أنور المطالب بالكنز وثار أهله وقامت المعـــارك كثيرة بين انور واعوانه وبين اهل القتيل ولكن عدا لم يمنع المال ان يظل ملكا لانور ولم يمنعه أن يقيم بيتا رائعا يصبح سيدا عظيم الشـــأن ويتزوج ويأتى ابنه أسعد ليجد نفسه ملك ٠

وحين يشب أسعد عن الطوق يجد هناك عداوة بين أنور أبيـــه وبين رجب ولم يكن يدرى أســـباب هذه العداوة ولكنه مالبث ان عرفها على مرور السنين واتساع الادراك وعرف ايضا انه لابد ان يكون عدوا لراغب بن رجب لان طبيعـــة الامور تقضى بان يـــكون عدوا له ٠

قدر أنور حين أصبح غنيا أنه لايليق به ان يكون فتوة فـــراح ينمى ثروته فانشا مصنع خشب او هو فى الحق اشترى المصـــنع الذى عمل به حين جاء الى القـــاهرة اول ما جاء واغـــراه الـــربح ان ينشىء مصانع أخرى فراد ثراؤه زيادة فاحشة واصبح مطمئنا انه اغنى اغنياء المنطقة جميعها ان لم يكن اغنى اغنياء مصر ٠

ولكن شيئا جديدا بدا فى الافق اسمه رجب ٠٠٠ كان رجـــلا ينتسب الى العلماء فلم يعره أنور التفاتا أول الامر ولكنه فوجىء برجب يجمع حوله المريدين وعلى رأسهم سعيد وفوجىء انور برجب يقول لا يجوز ان يكون هناك اغنياء وفقراء وانما المال مال الناس أجمعين قالها هو ونفذها سعيد وأعوانه ٠ واصبح حى البغالة جميعا

ملكا لرجب وسعيد واصبحا ينافسان أنور فى غناه وحلت بينهما الكراهية منذ ذلك الحين وقد توثقت الصلة بين رجب وسعيدحتى ان راغب لايدرى ان كان ابن رجب أم ابن سعيد بل ان أمه نفسها لا تعرف ٠٠٠ فهو من الناحية النظرية ابن رجب أما من الناحيـــة العملية فهو لا يدرى ٠

دافع الناس عن اموالهم فى حى البغالة فكان الموت مصيرهم ٠٠ فشا فيهم سعيد ٠٠٠ أموالهم أو أرواحهم ٠٠٠ ومات كثيرون ولكن الامر أستتب له ولرجب وراح سعيد يتولى توظيف الاموال فانشأ المصانع هو أيضا بل انشا المواخير حتى ينسى الناس ما فقدوه من مال وتاجر فى كل شىء وبالارهاب يشترى من لايريد أن يشترى ٠

وكان رجب وسعيد من الذكاء بحيث لم يفكرا ان يقتربا من حى السيدة وكان أنور من الذكاء بحيث لم يفـــكر أن يقترب من حى البغالة ٠

ومضت السنون وأصبح الناس فريقين ٠ فريقا ينتمى بعواطفه وعقيدته الى انور وابنه أسعد والآخر ينتمى الى رجب وســـعيد وابنهما راغب ٠ وكانت الخلافات تحتدم بين الفريقين احتـــداما يصل الى التشابك بالايدى ثم تطورت فاصبحت معارك تستعمل فيها كل ادوات المعارك واصحاب الخلاف الاصليون يكتفون بتقديم أدوات المعارك دون أن يشاركوا هم فيها ٠

وتمضى السنوات ويموت رجب ويتبعه سعيد ٠ ويموت أنور ٠

ويظل راغب واسعد على الخلاف الذى ورثاهعن آبائهما ويتوارث الاتباع أيضا المعارك فيما يتوارثون عن آبائهما ويتوارث الاتبـــاع أيضا المعارك فيما يتوارثون عن آبائهم ٠

وفجاة يجد أسعد ويجد راغب أن هذه الخلافات تشغلهما عن تنمية ثروتيهما وكأنما تكشفت هذه الحقيقة بغتة أمام كليهما فى لحظة واحدة فيبدأ كل منهما بكلمة لينة عن الآخر وما تلبث هـــذه الكلمة أن تصبح زيارة من أسعد الى راغب فى بيته تتبعهما زيارة من راغب الى أسعد فى بيته ويتم الصلح بين الخصمين القديمين ٠

ولكن العجيب أن أنصـــار كل منهما مازلوا حتى يومنـــا هذا فى عراك قاتل مستميت يموتون من اجل أثنين تم بينهما الصلح ٠

وحــــــــده

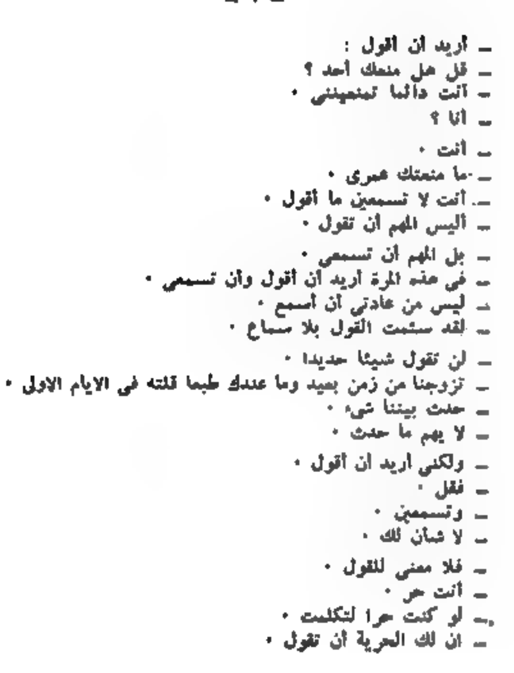

ـ ١ ـ

ـ أريد أن أقول :
ـ قل هل منعك أحد ؟
ـ أنت دائما تمنعيننى ·
ـ أنا ؟
ـ أنت ·
ـ ما منعتك عمرى ·
ـ أنت لا تسمعين ما أقول ·
ـ أليس المهم أن تقول ·
ـ بل المهم أن تسمعى ·
ـ فى هذه المرة أريد أن أقول وأن تسمعى ·
ـ ليس من عادتى أن أسمع ·
ـ لقد سئمت القول بلا سماع ·
ـ لن تقول شيئا جديدا ·
ـ تزوجنا من زمن بعيد وما عندك طبعا قلته فى الايام الاولى ·
ـ حدث بيننا شىء ·
ـ لا يهم ما حدث ·
ـ ولكنى أريد أن أقول ·
ـ فقل ·
ـ وتسمعين ·
ـ لا شأن لك ·
ـ فلا معنى للقول ·
ـ أنت حر ·
ـ لو كنت حرا لتكلمت ·
ـ ان لك الحرية أن تقول ·

ـ وأنا لي الحرية ألا أسمع ٠
ـ ما اصرارك هذا ؟
ـ لا أرى فائدة في قولك ولا في سماعي ٠
ـ كيف تحكمين على ما سأقول وأنت لم تسمعيه بعد ٠
ـ لقد خرجت من حياتي فكل حديث لا معنى له ٠
ـ ومع ذلك ليس هناك ما يمنع ان أقول وتسمعي ٠
ـ لقد رأيتكما ٠
ـ انا لم انكر هذا ٠
ـ فماذا تريد أن تقول ؟
ـ فتاة هي ٠٠٠
ـ لا تقل ٠٠٠ لا تقل ٠
ـ اذن فسأقول أيا ولك أنت أن تسمعي أو لا تسمعي ٠
وهبته حبي ووفائي ويخون ٠

طفلة كنت حين تزوجنا وبهرني منه حديث منمق وقوام رشيق ووجه وسيم ٠

وحين عرفت الحياة وجدته بلا ضمير ووجدت حديثه المنمق طلاء وبلا معنى ولا نبض وكانت طفلتي قد جاءت فكان لا يمكن أن اتركه وقبلت أن أعيش معه وهو تافه وسخيف أما أن يصل الامر الى الخيانة ٠٠٠ ولكن ما لي أغضب لخياناته كل هذا الغضب ما دمت لا احبه فما حرصي على وفائه ٠ لعلني حريصة على كرامتي ٠ وما شأن كرامتي ما دام يخفي عني خيانته فكرامتي اذن سالمة لم يمسها أحد فحين كشفت ما كان خافيا حينئذ ٠٠٠

ـ اني محام ٠
ـ كنت ٠
ـ وما زلت ٠
ـ بل كنت
ـ وللمحامي زبائن ٠
ـ هل أنت مصمم أن تقول ؟
ـ كل التصميم ٠
ـ وماذا يضيرك ما دمت لا تتعب

ـ أرادت هذه الموكلة أن تلتقي بي خارج المكتب فكان لابد ان التقي بها ٠٠٠ ان المحامي طبيب نفسي عليه أن يشعر زبائنه دائما انهم في أمن واطمئنان ماداموا في مكتبه وفي حمايته القانونية ٠

كل ما بلغك غير هذا كذب ٠٠٠ لماذا لا تجيبين ٠٠ أي انسان لا يجوز أن يخبر الزوجة بما يصنعه زوجها حتى لو كانت هذه الاخبار صحيحة ٠٠٠ ان للبيوت قدسية لا يجوز لاحد أن يحطمها ٠٠٠ ان هؤلاء الذين كلموك على الما يريدون أن يحطموا البيت الذي بنيناه من احلام طفولتنا ومن ظلال صبانا ومن أوهام شبابنا ومن حقيقة وجودنا ٠٠٠ ألا تذكرين ٠٠٠ وانما كنت تحبين أن تسمعي الذكريات وكنت تكمليها ما لك لا تكملين ٠٠

اتذكرين يوم كانت دادة حميدة تلقي بنا معا في البانيو عرايا ولم نكن نجد حرجا في ذلك يومذاك كنا نضحك وأرشك بالماء وتضحكين ثم نستحم ونخرج وكأننا طفلان أو طفلتان لا يفرق بيننا حس محدد ٠٠٠ أنت لا تسمعين لو كنت تسمعين لاحمرت وجناتك فقد كانت وجناتك تحمر دائما كلما ذكرتك ببانيو دادة حميدة ٠٠٠ اذا كانت الايام الطويلة لم تستطع ان تفرق بيننا أتستطيع ألسنة الناس ألا تعرفين معنى مرور الايام ٠٠٠ انها هذه الايام التي تلقي الشيب الى الرؤوس وتلقي الغضـــون على الوجوه والترهل على الاجسام والضعف على الابدان ٠٠٠ هذه الايام نفســـها تمر على العلاقات الصادقة الاصيلة فتزيدها أصالة وتغرسها عميقة في صدر الزمن فاذا الروحان مثلنا يصبحان حياة واحدة تنطلق أنفاسها من مصدر واحد قد اتحدت آمالهما في الحياة واتحدت بينهما مصادر الرزق ومصادر الضيق ومصادر الفرح ٠٠٠ لا لن أحدثك عن ابنتنا ٠٠٠ ان كانت العلاقة بيننا لا تحتمي الا بسهير فانا لا أريد هذه العلاقة ٠٠ لن أقول لك ان طلاقنا سيكون صدمة لسهير في بيت زوجها ٠٠٠ أتصدقين هذه الخرافات وبنتنا الآن متزوجـــة ٠٠٠ أترينني مازلت شابا أصلح لهذا ٠٠ كنت دائما تحبين سن الخامسة والاربعين لست صغيرا على كل حال ٠٠

***

لو علمت لماذا جئتك ٠٠٠ لن تتصوري الاسباب ٠٠٠ انك قاسية

انك تطلبين الكمال من كل من حولك ولا يستطيع من حولك أن يهبوا لك الكمال ... اعلم أنك قسوت على نفسك وكنت مثالية في كل ما تصممين ولهذا اردت من الجميع ان يصبحوا في مثل مثاليتك .. عذبت نفسك بالمثاليـــة فلماذا لا تعذبين الآخرين .. ولكننا نحن الذين حولك بشر نريد ان نخطيء كما يخطيء الناس وأن نعيش كما يعيش الناس ونتمتع بالحياة بكل الحياة . بما في الحياة من خطأ وما فيها من صلاح ... كرهت عنفك ومحاسبتك على كل صغيرة كرهت هذا فيك واعجبت به فيك أيضا ... أنت مثل أعلى اعبده ولا اريد أن أكون مثله .. اتمنى أن اراه ولا أتمنى أن أكونه ليتك تسمعين هذا الكلام ولكن كيف أقوله .. ان فيه اعترافا بما فعلت وقد تحصلين مني مع كل شيء ولكنك لن تحصل على هذا الاعتراف .

***

وأنت أيضا لست صغيرة .. الغيرة لاتتفق مع سنك،أنت أصغر مني أعلم ذلك ولكنك لست صغيرة لا اجابة..لا أجابة على الاطلاق ... ان كنت مصممة على الصمت ... فابتسامة أو تكشيرة أو هزة رأس ، أي شيء يشعرني انني هنا انني أقول شيئا ..

ـ لو كنت حيا لامتعني هـــذا الحديث ... ما زالت لحديثك طلاوته .. مازال حديثك يستطيع أن يعيدني اليك .

ـ لو كنت حيا .. السنت حيا ..

ـ الا تعلم أنك مت ؟

ـ مت .. الهذا الحد تكرهينني .. هل استطاعت الاقاويل أن تجعلني ميتا في نظرك .

ـ لانك مت .
ـ انا الآن لست حيا .
ـ اتتصور نفسك حيا ؟
ـ اليس هذا حقا .
ـ الا تعرف أنك مت .
ـ لا تقول هذا .
ـ انها الحقيقة .
ـ الست جالسا الآن امامك ... ألا تسمعين حديثي وتجيبين .

ـ صوت من العالم الآخر .
ـ فانا ميتك اذن .
ـ هل تشك في ذلك .
ـ بل اني واثق اني أعيش .
ـ اني حي ولكن لن أحيا معك مادمت قد صنت عنفك الى هذه الدرجة .
ـ علم الله لم تمن ولكنها الحقيقة .
ـ انها أمنياتك أنت ..
ـ انها الحقيقة ...
ـ ساجعل منها حقيقة بالنسبة اليك لن أعيش معك لن ترى وجهي بعد اليوم . لن ترى وجهي بعد اليوم .

ـ ٢ ـ

لعلها كانت تختاره من تلقاء نفسها اذا لم تتعرض لما تعرضت له ... كيف قبل أبوها هذا ... أبوها رجل القانون الذي ظل طول حياته يعلمها أن الحرية هي أثمن ما في الوجود وأن حرية المرء هي حياته فاذا هي في سنها الباكرة تتنسم الحـــرية مع الهواء الذي تتنشقه واثقة أنها تستطيع أن تمارس حريتها في كل صغيرة وكبيرة من حياتها ... وقد عاشت مطلقة سعيدة بحريتها سعيدة بثقة أبيها فيها حريصة أن تؤكد له دائما أنه يضع ثقته بين يدين جديرتين بها ... فهي نقية دائما ... تختار لنفسها أكرم مكان بعيدة كل البعد عن مواطن الشبهات لا تكترث كثيرا بتضييق أمها عليها فانها يجب أن تسيطر عليها دائما وتحب أن تحد من حريتها المنطلقة هذه في طبيعة لاتكلف فيها وقد عرفت هي هذا في أمها فهي تغفر لها قسوتها وتعيش حياتها كما تحب أن تعيش في حرية نقية صافية .

وهي في جمالها الرائع الاخاذ كفيلة أن تثير لدى الشباب ألوانا من المطاردة وهي سعيدة بهذه المطاردة وهي أكثر سعادة حين ترى نفسها تردهم جميعا في كبرياء وتدعمهم في عزة لا يعنيها ماذا هي مثيرة حولها بكبريائها .

وحين أصبحت في الجامعة احاط بها الزملاء برغباتهم الجامحة واحاط بها الزميلات بغيرتهن المجنونة فلم تعبأ بالرغبة من الفتيان

ولا بالغيرة من الفتيات وظلت كما تحب لنفسها أن تظل مترفعة كريمة على وئام تام مع ضميرها وحريتها .

واستطاعت الرغبة من الشباب والغيرة من الفتيات والكبرياء منها أن تطلق حولها الاقاويل ضارية مجنونة، فمنهم من يقول لها حبيب ولكنها خبيثة عميقة تستطيع ان تخفى أمرها ومنهم من يقول مجنونة متكبرة ومنهم من يقول انها مبذولة لمن يشاء ولكنها تتظاهر بالعفة . ومنهم من يدعى أنها في أمسها القريب كانت معه وانه رأى من فجورها ما لم يشهده من المحترفات .

وتجد هذه الاقاويل طريقها الى أذنيها فالسات يحببن أن يتظاهرن بالشفقة عليها ويحببن أيضا ان يتظاهرن بصداقتها فان الفتاة التى تستطيع أن تثير كل هذه الاقاويل تصبح صداقتها فى أغلب الامر شيئا حبيبا الى نفوس الفتيات .

وكانت هذه الاقاويل تصيب من نفسها مكانا قاسيا ولكنها كانت تســـتطيع دائمـــا أن تتكبر عليها فكانما الحديث عن فتاة غيرها لا تعرفها .

وان كان قول الشاب الذى قال انه كان معها قد اثار فيها غضبا شديدا ... انها تعرف هذا الفتى ولكنها لم تكلمه فى حياتها أبدا . ولقد حاول أن يتقرب منها بالطريقة الساذجة التى يحاول بها غيره فلم تكلف نفسها عناء صده بالحديث وانما أشاحت عنه وانصرف دون حديث فهو من ذلك النوع الذى يحب أن يزهو دائما أن النساء أسيرات اشارته .

عرض الفتاة بضاعة لا حارس عليها .. يكفى ان يطلق هذا الافاق قوله الرخيص حتى أصبح احدوثة بين الطالبات والطلبة . وعن وهم دائما أكثر ميلا الى الهجوم منهم الى الحق . لا يعنيهم ما يعرفونه عن كبريائى وما يعرفونه عن هذا الفتى من كذب وادعاء . وانما يعنيهم أنهم أصبحوا أمام قالة جديدة حكاية مثيرة يرويها فتى على أنه بطلها ... وستصدق الحكاية بلا تمحيص ولا تفكير فان النفوس تريد أن تصدقها وليذهب كبريائى الى أى جحيم يشاء .

ويتجمع الفتيان والفتيات حول الشاب ويصف وفى كل يوم يزيد فى الوصف ويستطيع فى خبث أن يغمز بعينيه :

ـ لولا وجود الانسان لسمعتم ما شئتم من التفاصيل .
ـ أنت كذاب .

صوت انبعث من شاب بينهم والتفتت اليه العيون منكرة عاجبة فقد تعودوا أن يسمعوا هذه الاحاديث من ملقيها هذا دون أن يفكر احد فى وضعها موضع الاختبار ليحكم عليها آخر الامر بالصدق أو بالكذب فما هذه النغمة الجديدة ومنذ متى يفكر واحد منهم فى مقدار الحق فيما يسمع .

ـ أنا كذاب ؟!
ـ وما شأنك ...

ـ أنت كذاب لان ما تقوله لم يحدث وحقير لانه لو كان حصل لكان الاولى بك أن تستره .

ـ خطبة عظيمة فى مكارم الاخلاق .

ـ الفتاة التى تروى عنها نعرفها جميعا وهى لم تسمح لاحد أن يأخذ عليها اشارة غير كريمة .

فهى حريصة أن تكون سمعتها فى الكلية أحسن سمعة وهى جميلة .. بل هى أجمل فتاة نعرفها .. ولو شاءت لوجدت الاصدقاء من كل مكان ومن الطبيعى أنها اذا أرادت أن تلهو فانها ستبحث عن شاب فى أى مكان غير الكلية التى حرصت دائما أن تكون فيها شريفة .. أنت كذاب .

وكأنما أفاق الجمع الملتف حول القصة والحوار الى هذه الحقيقة البسيطة الساذجة .. انها حقيقة لو أراد أى شخص منهم أن يفكر فيما يسمع لوصل اليها دون جهد يذكر ونظروا الى الفتى الذى كان يروى فوجدوا البهتة على وجهه ... انه فى موقف جديد عليه فقد ظل طول عمره يروى فيجد المتعة فى وجوه السامعين ولم يجـــد معارضــــه فى يوم من الايام ونظر حوله فوجـــد الوجوه جميعها تنتظر جوابه وهى أقرب ماتكون تصـــديقا لهذا الهجوم الذى شـــنه عليـه زميلـه ... كان ذهنـه مشـــغولا بخلق القصة ولم يشتغل أبدا فى خلق الحجج التى تدل على صدقها فحين واجهه هذا الانكار وجد نفسه فى صحراء من الدهشة ولم يجد شيئا يقوله ... فغر فمه وحملقت عيناه وانطفأ عن وجهه وهج الحماسة

وجف ريقه وراح يدور بعينيه حوله فاذا العيون التى كانت منذ لحظات ساجية مستمتعة بما تسمع تصبح عيونا متسائلة متهمة قاسية محتقرة ... كانت تريده ان يكون صادقا .. كانت تريده يحمل الدليل على ما يقول حتى تصبح متعتهم حقيقية لا اثر فيهـــا للخداع .. خداعه لهم وخداعهم هم لانفسهم..ولكنه خذلهم بهذا الصمت وهذه الحيرة وهذه الحماسة المنطفئة وهذا الصمت الذاهل الحيران وهذا الوجوم الكسيف الخزيان . طال صمته فالقى بعينيه الى الارض آخر الامر واستدار للجميع فى يأس قائلا فى صوت يحاول ان يحمل التهديد فلا يحمل الا الهزيمة :

— طيب ...

وينصرف لتعلوا من خلفه عند الباب قهقهات عالية ساخرة ويلتئم الجمع حول المنتصر فيجدون الفتى غير معتز بانتصاره .

— انتم جميعا شركاء والفتيات منكم خاصة .. كيف تأمن اى واحدة منكن أن يقول عنها مثل هذا القول ..

وينصرف الفتى المنتصر فى غضب وينتقل الحديث جميعه اليها فتجد فى نفسها راحة واطمئنانا ... ان الدنيا ليست بالسوء الذى كانت تتصوره . ان هذا الفتى الذى دافع عنها حاول ان يقيم معها صداقة فردته هو أيضا ولكنه شريف ..

وتمر الايام ولا يحاول ان يتقرب منها ... انها تعرف أنه يحس بنظراتها الشاكرة تلقيها اليه من بعيد ويروغ هو من هذه النظرات فقد قال ما يعتقد أنه الحق وهو لا يريد منها شكرا ... وتأبى هى ان تقدم شكرها فى حديث فهى لا تريد ان يرى زملاؤها أن بينها وبينه أى علاقة ولو كانت هذه العلاقة مجرد حديث ..

ودون ان تحس هى ودون ان يحس نشأت العلاقة .. فيها اكبار من الناحيتين وفيها شكر من جانبها .. بل فيها من جانبها معنى أكبر من مجرد الشكر ... لقد احست أن هذا الشاب قد أعاد اليها ثقتها فى الناس . ان فيهم سوءا ولكنهم ليسوا جميعا أشرارا .. احبته من ومضات خاطفة فى عينيه احست أنه يحبها ... فهى لم تدهش حين تقدم الى أبيها يريد أن يخطبها ولكنها دهشت ان اباها لم يسألها عن رأيها وانما عرفت أنه صرفه دون قبول .. وتقول امها

أنه فقير لا يملك الا مرتبه حين يعين . تلك الحجة التى يراها الآباء دائما مقنعة والتى يراها الابناء دائما سخيفة ..

كان رفض أبيها مؤلما بالنسبة لها .. كيف ينهار هذا التمثال الذى اقامته له فى نفسها . لقد ظل طول حياتها يعلمها أن الحرية هى اثمن ما يملكه الانسان ثم هو فى لحظة واحدة يســـلبها كل حريتها وهى اهم ما يعرض لفتاة فى حياتها .. انهار تمثال أبيها .. انها تعلم انه يلين أمام أمها فى أمور كثيرة ولكنه من المبادىء الاساسية التى يؤمن بها لا يلين فكيف قبل أن يعتسف حق ابنته فى اختيار شريك حياتها وكيف قبل أن يرده دون أن يسألها ..

ان هذا الذى رده أبوها هو الشخص الوحيد الذى تريد بحريتها الكاملة ان تتزوج منه وشباب الدنيا جميعها بعد ذلك سواء .. ما دامت لن تتزوج هذا الشاب فليكن الزوج من يكون .

وحين اقبل زوجها هذا :

— ما رأيك ؟

— لا رأى لى .

— فانت اذن موافقة .

— اذا كان عدم اعطاء الرأى موافقة فانا موافقة واعتبرت أمها هذا الحديث القصير موافقة وتمت مراسيم الزواج وابوها بعيـــد عن الموضوع جميعا وكان لا يعنيه ..

وحين أصبحت فى بيت زوجها تبينت هول ما حدث لها .. لقد قضى عليها ..

— قالت لى امك انك وافقت .

— هل سألتنى أنت .

— وهل تكذب أمك فى مثل هذا ..؟

— انك علمتنى الحرية وسلبتها منى ليتك لم تعلمها لى حتى لا افجع فيها وفيك وأنت تسلبها منى .

— هل سلبت حريتك ؟

— منذ رفضت زميل الذى جاء يخطبنى .

— انها أمك .

— وانت ابى .

— حسبت انه لا يهمك أن ارفضه .

— ولماذا لم تسأل ؟

— كنت فى شقاق مع امك وخشيت ان تظن أننى اقف الى جوارك

للخلاف الذى بيننا ·
ـ وأنا الضحية ·
ـ لم أتصور أن فى الامر تضحية ·
ـ ولماذا لم تسأل ؟
ـ اخطأت ·
ـ وحياتى هى الثمن ·
ـ الا تقبلين اعتذارى ·
ـ وماذا يفيد الآن ؟
ـ قد تستطيع أن تصلح ما فسد ·
ـ كيف وقد مت ·
ـ انا مت ·
ـ الم تمت ···
ـ من هذا الذى يحدثك ·
ـ وهم أو شبح ·

ـ ٣ ـ

ـ حتى أنت ··· حتى أنت ··· حتى أنت ··· لقد أعطيتك كل حبى ·
ـ وأعطيتك كل حبى ·
ـ لم تطلبى شيئا الا قدمته ·
ـ كنت سعيدا وانت تقدم لى ما أريد ·
ـ وكنت سعيدة وانا اقدم لك ما تريدين ·
ـ كنت أحب أن يجد حبى صدى عندك ·
ـ ولكنك كنت كثيرا ما تشك فى ·
ـ كنت اخشى ان يكون حبك لى مبعثه البحث عما اقدم لك ·
ـ هناك من هو اغنى منك ولم أقدم له حبى ·
ـ ان الغيرة هى الثمن الذى يدفعه المحب فى مقابل هنائه بحبه ·
ـ ولكن على حساب ثقته بمن يحب ·
ـ أكنت تريديننى محبا لا يغار ·
ـ كنت أريد محبا يهب الثقة ثم يخاف ·
ـ أهذا ما اغضبك ·
ـ لا ·· لقد تعودت منك هذه الوساوس ·

ـ ان الصلة بيننا لم يكن يحميها الا الحب ·
ـ وهل هناك أقوى من الحب ؟
ـ القلوب تتغير ·
ـ فهل تمنع الغيرة تغيرها ·
ـ والمرأة تتغير ·
ـ وهل تمنع الغيرة تغيرها ·
ـ أنا لا أملك الوساوس تثور فى نفسى ·
ـ الواثق بنفسه يملك وساوسه ·
ـ هل يريد أحد أن يخاف ؟
ـ القوى يتحكم فى طباعه ·
ـ لكل انسان ضعفه ·
ـ تستطيع دائما أن تثق بنفسك ·
ـ وبغيرى ؟
ـ واذا وثقت بنفسك وثقت بغيرك ·
ـ بكل الناس ·
ـ بمن تحب
ـ فان احببت من لا يحبنى ·
ـ فأنت غبى ·
ـ هل أنا غبى ؟
ـ اذا أحببت من لا تحب فأنت غبى ·
ـ اعظم اذكياء العالم احبوا من لا يحبونهم ·
ـ لم يكونوا يعرفون أنهم غير محبوبين ·
ـ خادعوا أنفسهم ·
ـ كنت أخاف أن أخادع نفسى ·
ـ أن تخادع نفسك خير من أن تثيرها ·
ـ احببتك بجنون ·
ـ وأنت تعلم أننى أحببت بجنون ·
ـ لقد جئت لى كنوكله ·
ـ كانت سمعتك كمحام كبير ·
ـ وكسبت قضيتك ·
ـ لقد كنت على حق ·
ـ فأنا لست بارعا اذن ·
ـ كنت بارعا فى اختيارك لى ·

ـ أحسست أنك فى فراغ ٠
ـ حين يتوفى الزوج تصبح الزوجة فى فراغ ٠
ـ ولكنى أيضا كنت فى فراغ ٠
ـ كان فراغا عاطفيا ٠
ـ كنت محتاجا اليك ٠
ـ وكنت محتاجة اليك ٠
ـ قضيت معك أروع لحظات حياتى ٠
ـ وانها أروع لحظات حياتى ٠
ـ لقد وهبت لى الكثير ٠
ـ وأنت وهبت لى الكثير ثم ٠٠٠
ـ ثم ماذا ٠
ـ مللتنى ٠
ـ أنا ٠
ـ تركتنى بين الموت والحياة ٠
ـ كان لابد أن أسافر فى عمل ٠
ـ وحياتى ٠
ـ ان عمل يتوقف عليه مصائر الآخرين ٠٠ انها مسألة ضمير٠
ـ ألم يعاتبك ضميرك فى أمرى ؟
ـ تركتك بين يدى الأطباء ٠
ـ ولكنى وحيدة ٠
ـ وماذا كنت أصنع ؟
ـ وأنا وحيدة بسببب ٠
ـ طبيعة حياتنا تحتم عليك الوحدة ٠
ـ ألم تفكر فى أمرى ؟
ـ ألم تفكرى فى أمرى ؟
ـ ماذا كنت أصنع ٠
ـ سؤال العاجزين ٠
ـ فاجيبى أنت ٠
ـ كنت تستطيع على الأقل ان تأتى لى بممرضة ٠
ـ لماذا لم تقول ؟
ـ مثل هذا لا أقوله أنا ٠
ـ انك دائما كنت تطلبين ما تريدين ٠

ـ الا هذا ٠
ـ لمـاذا ؟
ـ انها صحتى وحياتى يجب أن ترعاها امت دون ان اقول
ـ كنت مشغولا بعمل ولم يخطر لى هذا ببال ٠
ـ لو كان أمرى يعنيك لخطر هذا ببالك
ـ لايجوز ان تحاكمينى على فكرة خطرت لك ولم تخطر لى ٠
ـ ثم عدت من السفر ٠
ـ لست أدرى أى شيطان أغرى زوجتى بعلاقتنا
ـ فهو حرصك على زوجتك اذ ٠
ـ بيتى وكيانى وسمعتى ٠
ـ وحدك ٠
ـ كنت أطمئن عليك ٠
ـ وهل اطمئننت ؟
ـ لقد كنت دائما حريصة على بيتى ٠
ـ كنت أحسب حياتى عندك غالية ٠
ـ انت تعرفين انها غالية ٠
ـ كنت أحسب ٠
ـ ومع هذا فقد سمحت زوجتى للمجلات أن تتكلم فى الموضوع٠
ـ وهل يهمك هـذا ؟
ـ سمعة المحامى فى غاية الأهمية ٠
ـ كل شئ مهم عندك الا صحتى ٠
ـ الا يمكن أن تكون أشياء كثيرة مهمة فى وقت واحد ٠
ـ على أن تكون صحتى أهم شئ عندك ٠
ـ أنت تعرفين انها أهم شئ عندى ٠
ـ تركتنى وأنا بين الموت والحياة ٠
ـ ظروف قاسية ٠
ـ عذر الضعاف ٠
ـ الا ترحمين ؟
ـ وماذا تفيد رحمتى الآن ؟
ـ الا تعرفين ماذا تفيد ؟
ـ لقد فات الأوان ٠
ـ لم يفت ٠
ـ لعلى كنت أقبل عذرك ٠

ـ لو لم تكن ...
ـ لو لم أكن ماذا ؟
ـ لقد مت .
ـ أنا مت ؟
ـ لقد مت .
ـ أهي مؤامرة مدبرة .
ـ الموت لايحتاج الى تدبير المؤامرات .
ـ اذن فانا ميت .
ـ ميت ؟
ـ أنت ترين هذا .
ـ انها الحقيقة .
ـ الحقيقة ؟! ...
ـ ميتا او حيا لن أراك ولن تريني بعد اليوم .

ـ ٤ ـ

هو الملجأ الأخير ليس لي غيره لا يستطيع هو الآخر أن يدعي موتي ... أنا الذي صنعته من السهر الطويل والجهد الشاق والضمير اليقظ والعلم والدراسة والفن .. صنعته وجعلت اسمه على كل لسان ... مكتبي ... اذا ذكر اسمه للمتهم فهو امن ولصاحب الحق فهو عدل لم اقبل فيه قضية الا كنت راضي الضمير عنها ... فارغ هو الآن ... موعد المكتب لم يات بعد .. الوكيل لم يات الزبائن لاتجيء الا بعد موعد المكتب بساعة أو أكثر ... ما أعظم ما قمت به ... هذه القضايا القديمة كلها تحمل الاعمال الرائعة التي قدمتها في ساحة العدالة وفي فن المحاماة وفي خدمة الحق . بل ان القضايا التي لم اقبلها كانت أعظم وأضخم . لا أنسى تلك القضية التي اجتمع فيها خمسة شباب ليقتلوا رجلا عجوزا وجاءني أخو احدهم يدعوني للمرافعة عن أخيه وقرأت القضية ووجدت الظروف جميعا تشير الى موكلي بالاتهام ... كان مجرد المرافعة في القضية مهما بالنسبة لي فقد كنت في ذلك الحين محاميا ناشئا يبحث عن القضايا الهامة ليصنع بها اسمه في سجل كبار المحامين وقد جاءني هذا الموكل لصلة كانت تربط بيني وبين أسرته وكان طامعا الا أغلو في الأتعاب وقد كنت خليقا الا أتقاضى

شيئا على الاطلاق . فمثل هذه القضايا يدفع فيها المحامون أتعابا ولم تكن أصابع الاتهام التي تشير الى موكلي تهمني في شيء كل ما كان يهمني هو الحقيقة ... لقد أحسست أن موكلي اشترك في الجريمة ... احسست بهذا احساسا اقترب من اليقين فحين جاء الاخ يسألني ان كنت سأقبل القضية سألته ذلك السؤال الذي لايجوز لمحام أن يسأله لمتهم او قريب لمتهم ... ذلك السؤال المباشر الصريح القاطع .

ـ هل ارتكب أخوك الجريمة ؟

واطرق الاخ لحظة كأنما كان السؤال لكمة عنيفة موجهة اليه ثم رفع رأسه في حزن وأسى .

ـ نعم .

وهدمت نعم كل آمالي أو معظمها فقد أردت أن أخاطب الأمانة في نفس هذا الأخ .

ـ لقد أقسمنا اليمين ألا نكذب فدفاعي عن أخيك سيكون قائما على طلب التخفيف بناء على الشهادات التي قدمت للمحكمة لاثبات الجنون واعتقد أن هذا هو خير سبيل للدفاع ... أنا لن أدعي أن أخاك بريء ... ان رأيت أن أسير في الدعوى على هذا النحو فأنا تحت أمرك وان رأيت أن تبحث عن محام آخر يحاول نفي التهمة جميعا فهذا اليك .

وصمت الأخ قليلا في تلعثم وهو يقول :

ـ سر في الدعوى على النحو الذي يرضيك وفرحت يومذاك ولكن ما لبث فرحي أن تبدد فقد علمت أن الأخ قد وكل محاميا آخر ... تبدد فرحي ولكن ما أسرع ما ملكني شعور بالسعادة الطاغية ... ذلك الشعور الذي يمتلك من قدم تضحية في سبيل مبدأ ... شعور رائع كثيرا ما أحسست به وأنا أقيم صرح هذا المكتب .

شعرت به كلما رفضت قضية كهذه وشعرت به كلما حاول أحدهم أن يجعل من المحاماة مهنة وساطة رخيصة .

لعل هذا النوع من الشعور أعظم في اسعاده من كسب قضية ... فكسب القضية يقترن فيها الجهد بالفرح ... وتوقع الكسب مع الجهد يجعل الكسب نتيجة قريبة الاحتمال بالفرح بها لايكون كبيرا أما مغالبة النفس وهي أعظم عدو للانسان ورفض المال الذي تحتاج اليه . رغم حاجتك اليه .

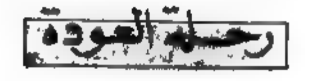

أما هذا فانه يشيع في النفس نوعا من الرضـــا والســعادة والاطمئنان الى نفسك والثقه بها .. واهم مايحتاج اليه المرء في حياته ان يطمئن الى نفسه ويثق بها..يثق بانها تستطيع دائما ان تكون ابيه مترفعة فيها كبرياء القناعة واعتزاز اصـحاب المبـادىء

ماذا حدث لى حتى بدأت اتـراجع عن نفسي ... لا ادرى ماذا حدث ... لا اريد أن أذكره .. وهل املك الا أن أذكره .. وماذا يهمه . فما دام مكتبى هذا باقيا لى فكـل ما عدا ذلك عبث ... استطيع أن اعيد الى حياتى كل هؤلاء الذين رفضوا حيـاتى فهم ايضا قد صنعتهم بمكتبي واستطيع أن اعيد صنعهم اذا شئت .. روحتى ـ السنوات الطويلة والطريق الذى قطعناه مع الامال الهشة الواهنة حتى أصبحت الآمال حقائق وهى فى شموخها الصاعد وفى ترفعها الأبي وفى مثاليتها الرائعة القاسية . وانى احبها واكبرها وأحلها فى كل لحظة فى حياتى انى اعتز بها لمثل هذه استطيع ان اعيد صنعها ؟ ان اعيد صنع الحياة التى قطعتها معهـا .. ابنتى بعض قلبى وحبى وضميرى وقوتى .. فى ثقتها بنفسها وبحبها لها تقطع الحياة حرية ونقاء . كيف استطعت أن اجعلها ترفض حياتى .. كيف ..؟ كيف .. وكيف تعود الى مثل هذه البنية .

حبيبتى .. لحظات السعادة المرغردة الطاغية ، لحظات المتعة الوضيئة فى حياتى القلب والقلب ينبض واحد والمخاطرة والخاطرة تتالفان لهما خاطرة واحدة .. مخاوفى عندها أمن وآلامى عندها الى زوال ... ومع ذلك بقى لى مكتبى ...

ماذا حدث ... ؟ لقد اوغل الليل ولم يات الوكيل . ولم يات الربائن ... لعل الوكيل فى مكتبه ولعله لايعرف انى بحجرتى . ابدا انه لم يات . لم يات والحجرات فارغة .. لا احد فى الأوراق على مكتب الوكيل . انها ليست اوراقا انها محلات ... مجلات . فضيحة شائنة زوجة محام كبير تطلب الطلاق لأن زوجها يخونها . زوجة محام كبير ترفض البقاء مع زوجها الخائن ... زوجة محام كبير فى قضايا الجنايات ...

انه من أسهل الأمور على أن أعرف على الفور ان كنت حيـا او كنت ميتا ولكن .. اذا كان هؤلاء يرون اننى ميت فالامر بعد ذلك سواء ... لا حاجة بى الى البحث ... الامر سواء ..

إصدر حاكم الكوفة أمره الى عماله أن يلزموا أصحاب المحال التجارية بدفع خمسة دنانير في الشهر مقابل ان يحمى لهم متاجرهم من اللصوص والغاصبين • كما أمر ان يدفع الزراع عشر محصولهم مقابل أن يحمي لهم التسعة أعشار الباقية • وأصاب الناس اضطراب شديد • وراح الأفراد يتجمعون ويتهامسون ولكن سرعان ما يتفرقون ويصبح الهمس هواء مع الهواء • وقد يعيد الهواء ولكن هيهات لهمسهم ان يعيد •

وكان أحد شوارع الكوفة مزدحما بالتجار فكان الهمس في هذا الشارع يعلو بعض الشيء عن الشوارع الأخرى ولكن مهما يكن الهمس عاليا فانه ينداح آخر الأمر مع الهواء فلا يفيد •

وكان أحد الوراقين جالسا الى كتبه ينظر الى رجل عنده مهيب يقرأ في كتاب من كتب المكتبة بنهم واستغراق •

ـ قل لى أيها الشيخ •

ـ هل أنت مصمم على أن أقول لك ؟

ـ مجرد سؤال

ـ ياليت •

ـ مجرد سؤل •

ـ لايمكن •

ـ فانتظر حتى ترى •

ـ ان كل حديث يبدأ بكلمة قل لى هذه السخيفة • وقد يتبعها مجرد سؤال ثم تتوالى الأسئلة فلا تنتهى وأنا أريد أن اقرأ •

ـ حسنا لماذا تقرأ ؟

ـ لأتعلم •

ـ ولماذا تتعلم •

ـ لأعرف كيف يصاغ الكلام •

ـ ثم بعد •

ـ أرأيت لم يكن مجرد سؤال اذن انها مؤامرة كاملة •

ـ لو كنت اجبتنى اجابة شافية لما احتجت أنا الى كل هذه الأسئلة •

ـ بماذا أتريدين أن أجيبك •

ـ لماذا تقرأ ؟

ـ لقد قلت لك •

ـ لم تقل شيئا •

ـ انى اقرأ لأننى أريد ان اقول •

ـ فالقول اذن صناعتك •

ـ انه صناعتى •

ـ صناعتك ان تقول •

ـ نعم •

ـ فلماذا لا تقول ؟

ـ وماذا تريدنى أن أقول ؟

ـ ان تقول للظالم أنت ظالم •

ـ أين هو الظالم ؟

ـ أتستطيع أن تقول للظالم أنت ظالم •

ـ انها صناعتى •

ـ ألم تسمع بالاحكام الأخيرة التى أصدرها الحاكم ؟

ـ هذا عمله •

ـ أن يفرض علينا الاتاوات •

ـ اذا لم تدفعوا هذه الأتاوات كما تسميها فمن اين تنفق الدولة•

ـ لو انها أخذت من أجل الدولة ما تكلمنا •

ومن اين تعرف السبب الذى من أجله أخذت •

ـ اسمع أيها الشيخ • انى واخوانى لا نعارض فى دفع ما تريده الدولة فقط لنا مطلب •

ـ لكم ان تقولوا مطالبكم •

حين يمتنع الحـــاكم عن اقامة الولائم كل يوم مرتين مرة فى الغداء ومرة فى العشاء • وحين يمتنع الحاكم عن اقتناء الجوارى باهلا فى سبيل ذلك الالوف المؤلفة من الدنانير • وحين يمتنع الحاكم عن ان ينفق فى سعة ليرتدى الملابس موشاة بالذهب والماس • وحين يمتنع الحاكم عن أن يعطى من خزانة بيت المال لاهله وذويه والمقربين اليه بغير حساب • وحين يمتنع الحاكم عن أن يقـــذف بالمال تحت أقدام الشعراء الذين يمدحون فى خسة والمغنين الذين ينافقون فى صغار • حين يمتنع الحاكم عن هذا جميعه ويحتاج بعـــد ذلك الى أموال لبيت المال فاننا نرحب ان نقدم كل ما يطلبه منا •

ــ اذن فانت تريد فى بساطة أن يبدأ الحاكم بنفسه •

ــ بوركت لقد ظللت أتكلم وأتكلم فقلت أنت ما اريد فى كلمة واحـــدة •

ــ الكلام صناعتى •
ــ أترى لصناعتك هذه فائدة ان لم تقل بها كلمة حق •
ــ انك على حق ولقد اقتنعت بقضيتك •
ــ أتذهب اذن الى الحاكم فتجعله يقتنع بما اقتنعت أنت به •
ــ أما انا فلا مانع لدى ولكن ؟
ــ أتخـــاف ؟
ــ ليس لدي ما أخاف عليه •
ــ حيـــاتك •
ــ أخاف عليها ولكن ما أظن ان الحاكم سيستولى عليها لمجـرد انى نقلت اليه رايا •
ــ فما لكن هذه ؟!
ــ ولكن ذهابى وحدى لن يفيد شيئا •
ــ ان الكلام صناعتك
ــ لست وحدي من اتخذ الكلام صناعة فى الكوفة •
ــ اذن فانت تريد جماعة من الناس حتى تكون مطمئنا بوجودهم
ــ أولا لاعيب فى ذلك ، فمن خصال الانسان أن يخاف ، وثانيا ذهاب الجماعة خير من ذهاب الفرد فان الحاكم حين يرى جمعا منا يعرف اننا نعبر عن رأى قوم كثيرين • اما ان رأى فردا فقـــد يستخف به ويرميه بالتدخل فى غير شانه •

ــ أليس شانك ان تقول •
ــ فى هذه الحالة يعترف الحاكم ان من شانى أن أقول •
ــ لا باس فمن تريد معك ؟
ــ انك وراق وتعرف كل من يتخذون الكلام صناعة •
ــ فمتى تحب أن تذهب •
ــ متى تستطيع أنت أن تجمع الذاهبين •
ــ فى اقرب وقت •
ــ وانا مستعد •

وتجمع صناع الكلام وقصدوا الى قصر الحـــاكم • فاستقبلهم الحاجب •

ــ من أنتم ؟
فقال كبيرهم •
ــ نحن أهل الكلمة •
ــ ومن أهل الكلمة •
ــ اولئك الذين وهبهم الله موهبة الكلام •
ــ وماذا تريدون ؟
ــ نريد أن نلقى الحاكم •
ــ ولمـــاذا ؟
ــ عندنا كلمة نريد ان نقولها له •
ــ الا يمكن ان تقال لى •
ــ انها لاتقال الا للحاكم •
ــ اهى بشرى طيبة ؟
ــ انها ليست بشرى •
ــ فهى اذن نبوءة سيئة •
ــ يا اخا العرب نحن لسنا من علماء الفلك •
ــ فماذا تريدون اذن •
ــ ان نلقى الحاكم •
ــ لن تلقوا الحاكم الا اذا عرفت أنا ما تريدون •
ــ لقد جئنا نكلمه فى شان التجار والزراع •
ــ آه •

ـ اعرفت ؟
ـ اهذه هى الكلمة ؟
ـ تلك يا اخى البداية ٠
ـ اهناك شىء آخر ٠
ـ انك لم تعرف الا رأس الموضوع فقط أما الكلام الذى نريد أن نقوله للحاكم فانت لاتعرفه ونحن نحب أن نقوله له ٠
ـ ولماذا لا تقولونه لى ؟
ـ أنت حاجب الخليفة الست كذلك ؟
ـ ابى هــــو
ـ فابلغه أمرنا وانظر بماذا يجيبك ٠
ودخل الحاجب فما هى الا أن عاد ٠
ـ تعالوا معى ٠
ـ الى الحاكم ٠
ـ ستلقون الحاكم ٠
ـ الآن اليس كذلك ؟
ـ الآن نعم ٠٠٠ اتبعونى ٠
ـ يا أخا العرب ٠٠٠ انك دخلت الى الحاكم من هذا الباب فمالك تقصد بنا الى باب آخر ؟
ـ انه سيلقاكم فى حجرة اخرى ٠٠ اتبعونى ٠
وتبعوه ٠
ـ ولكننا يا اخى لم نقل شيئا بعد حتى تقودنا الى السجن ٠
ـ وهل رأيتمونى ادخلكم السجون واقفل دونكم الابواب ٠
ـ فما مجيئنا الى السجن ٠
ـ انه الطريق الى الغرفة التى ينتظركم فيها الحاكم ٠
ـ آه ٠٠٠ وما هذا ؟
ـ لا شىء ٠
ـ رجل معلق من قدميه فى الهواء ورأسه موضوع فى الماء ثم لا شىء ٠
ـ عملية تنشيط للذاكرة ٠
ـ أى ذاكرة ؟

ـ الذاكرة التى تنسى احيانا أن الحاكم لابد أن يطاع ٠
ـ فان كسلت الذاكرة يموت ٠
ـ انه لن يموت ٠
ـ الموت أهون ٠٠٠ وهذا ٠ ؟
ـ مثله ٠
ـ ولكنه لا يعامل مثله ٠
ـ وسيلة اخرى لتنشيط الذاكرة ٠
ـ ولكن النار فى قدميه ٠
ـ ان الدماء اذا سخنت فى الاقدام وصلت الى الــــرأس حارة فتنشط الذاكرة ٠
ـ وهـــذا ؟
ـ مثله ٠
ـ وهـــذا ؟
ـ مثله ٠
ـ مثله ؟
ـ مثلة ٠
ـ أيطول بنا الطواف هكذا ؟
ـ اننا فى الطريق الى الحاكم ٠٠٠ اتبعونى ٠
وتبعوه ٠
ـ ما هذا أيها الحاجب لماذا تقيد أيدينا وراء ظهورنا ؟
ـ لاتخافوا حين تخرج من هذه الغرفة سنفك أيديكم ٠
ـ ولكن لماذا ؟
ـ ستعرفون ٠٠٠ حالا ستعرفون ٠
ودخلوا الى حجرة كلها رفوف من الارض الى السقف وكل الرفوف مليئة بالماس والياقوت والزبرجد والزمرد أما الذهب فكان أكواما وصاح كبير القوم :
ـ الهذا قيدتم أيدينا ؟
ـ انها أوامر صادرة الى حراس الغرفة ٠
ـ اننا نحتج ٠٠٠ انحن لصوص ؟ سنبلغ الحاكم هذه الاهانة التى الحقتموها بنا ٠

ـ انها أوامر الحراس ٠

ـ ولكنها اهانة فما نحن لصوص ٠

ـ على كل حال لاتغضبوا فانكم ستعودون من هذه الغرفة فان كان الحاكم راضيا عنكم فانكم ستمرون بهذه المسيرة وايديكم مطلقة ٠

ـ اهكذا ٠

ـ على شرط ٠

ـ ما الشرط ؟

ـ الا تسرفوا فى أخذ الجواهر حتى تتسع جيوبكم ويراكم الحراس ٠

ـ شرط معقول ٠

وخرجوا من الغرفة الى بهو فاطلقت أيديهم وقال لهم الحاجب ٠

ـ انتظرونى هنا حتى استأذن لكم على الحاكم ٠

وحين تركهم نظر أحدهم الى كبيرهم ٠

ـ ماذا أنت قائل ؟

ـ ما تريدون ان أقول ؟

ـ اتعرف ما نريد أن نقول ؟

ـ كل المعرفة ٠

وحين دخلوا الى الحاكم بدأ كبيرهم ٠

ـ يا مولاى الحاكم لقد أرسلنا التجار والزراع لنشكر لك هذا القرار الحكيم العادل الذى تفضلت فاصدرته فقد جعلتهم يشعرون انهم يشاركون حقا فى بناء بلدهم ولو لم تصدر هذا القرار لارسلونا اليكم لنرجوكم ان تصدروا هذا القرار ٠ ولكن نفاذ بصيرتكم ونبل معدنكم واصيل فطنتكم ورفيع فكركم وروائع تدبيركم كل هذا كان أسبق منا وأنتم دائما بالفضل أسبق وبالخير اوثق وبالمجد اخلق ٠

وفى العودة مر أصحاب الكلمة فى غرفة الجواهر والذهب وكانت أيديهم مطلقة ٠ والمفاجأة التى كانت تنتظرهم ان هناك طريقا يمضى الى خارج القصر دون أن يمر بالسجن ٠٠٠ وقد دهشـوا لذلك أى دهشة ٠

كان عدلي يفرح أشد ما يفرح حين يمر بالاطفال فيلقي عليهم التحية فيستقبلونها بالفخر والاعجاب والاكبار ، ان عدلي نفسه يلقي عليهم التحية ويعتبرهم رجالا يستحقون منه هذا الاكرام وكان هذا الشعور بالفرح في نفوس الاطفال يسكب سعادة مرغردة في قلب عدلي ويشعره أنه مازال فتى الليل ذا الصيت الضخم الذي تهتز لذكره أفئدة النـــاس في قريته وجميع القـــرى المجـــاورة وكان هـــذا الشـــعور يسليه عن نظـــره الذي يعلم أنه أصـــبح ضـــعيفا وهو يعلم انه يجب أن يذهب الى طبيب يعالج له ما يفقده من بصره ولكنه يخشى أن يتسامع الناس بهذا فتسقط هيبته ويزول مجده الذي أصبح في مهب الرياح منذ توقف عن الاعمال المجيدة التي تعود أن يقوم بها ـ فهو لم يقتل أحدا منذ ثلاث سنوات ومجده يوشك أن يصبح نسيا ، فانه لولا فرحة الاطفال بتحيته لاصبح بلا أمجاد على الاطلاق ·

وهو يخشى أيضـــا أن تعرف حبيبته هنية ان نظره قد ضعف فينكمش حبها له وتفضل عليه زوجها · فهو اذن يبقى على سره دفينا في العميق من صدره لايطلع عليه أحدا ·

خرج عدلي من داره في أول الليل وراح يتحسس طريقه الى دار عبد الباقي في ليلة موعد كان عبد الباقي في الحقل يروي الارض وسيظل هناك الى ساعة متأخرة من الليل فالفرصة مواتية لعدلي أن يذهب الى هنية ·

استقبلته هنية في بشاشة ودخلا الى حجرة النوم ·

لم يطل بهما المقام في الحجرة فقد سمعا صوتا ·

ـ عبد الباقي ·

ـ هل تراك الغيط ؟

ـ أعرف صوتك ·

ـ أيهمك أمره ·

ـ زوجي ·

ـ وأنا عدلي ·

ـ انه زوجي ·

ودخل عبد الباقي فما يرى ·

ـ عدلي ·

وأخرج عدلي مسدسه من جيبه ولم يتكلم واطرق عبد الباقي والثورة توشك أن تمزقه تمزيقا ولم يجد شيئا يفعله الا أن يخرج من البيت هائما على وجهه وتاه به الطريق وطال به المسير لا يعرف مكانه من القرية ومن قريته ولا يعرف قدميه على الطريق وهو طريقه وكل آفاق تذكر روحته الخائنة ومسدس عدلي فيعود الى الضـــياع وينسلخ الليل وتطلع الشمس ولكن الظلام ما يزال يحيط به ويتلفت حواليه آخر الامر فيتبين له ان قدميــه قد سحبتاه الى قريب من المدينة ·

في المدينة يعرف طريقه ··· يعرفه في اصرار وحزم ··· انه الآن يعرف ما يريد ··· ويعرف الطريق ·

ـ يلمني أنك تسلف ·

ـ بفائدة عشرة في المائة ·

ـ في السنة ·

ـ في الشهر ·

ـ أعطني عشرة جنيهات ·

ـ لكم شهر ؟

ـ حتى أجمع القطن ·

ـ لمدة ثلاثة شهور ·

ـ نعم ·

ـ وقع على هذه الكمبيالة ·

ـ هات الفلوس ·

ـ توقيعك غير واضح ·

ـ أوقع ثانية ·

ـ خذ الفلوس ·

ـ هذه سبعة جنيهات ؟!

ـ خصمت الفائدة ·

ـ آه ··· اذن مزق هذه الكمبيالة واكتب كمبيالة أخرى بخمسة عشر جنيها ·

وسار في طريقه .. انه يعرف طريقه .

ــ أريد مسدسا .

ــ هل معك رخصة ؟

ــ بكم هذا المسدس .

ــ ان كان معك رخصة فهو بثمانية جنيهات .

ــ ان لم يكن معي .

ــ فهو باثنى عشر جنيها .

ــ والرصاص ؟

ــ بجنيه .

ــ اسمع أريد هذا المسدس مملوءا بضعفي مايحمله من بارود .

ــ مر على بعد ساعة .

وحين عاد الى القرية لم يذهب الى البيت فما عاد له بيت ذهب الى حقله وبات ليلته في العراء .

وفي الصباح راح يهيم على وجهه محاذرا أن يقترب من بيوت القرية حتى اقتربت الشمس من المغيب فهو يسير الى بيت مسعود حيث يعلم أن عدلي يسهر كل ليلة وينتظر مترقبا حين خرج عدلي سار خلفه بضع خطوات ثم أخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة ونظر اليه عدلي هالعا فاطلق رصاصة أخرى وثالثة حتى أفرغ رصاص المسدس جميعه وعدلي واقف على قدميه لم يتحرك فهو مسمر الى الارض شاخص الى قاتله لا يكاد يحس بقدميه من الهلع وهذا الرصاص يتدافع من المسدس وعبد الباقي أشد هلعا ودهشا . عدلي . ان الرصاص لا يصيب مقتلا ... وحين ينتهي الرصاص يظل عدلي مسمرا في هلعه وينطلق عبد الباقي من موقفه فيسارع بالجري الخائف المفزع ويظل يجري ويجري حتى تجد قدماه الطريق الى المدينة ويظل يهيم بها شاردا ذاهلا فما يصبح الصبح وتفتح الابواب المغلقة حتى يسارع الى الرجل الذي باعه المسدس .

ــ ماهذا الرصاص ؟

ــ رصاص بلا بارود .

ــ لماذا فعلت هذا ؟

ــ عرفت أنك تريد أن تقتل .

ــ وما شأنك ؟

ــ وعرفت أنك لست قاتلا محترفا .

ــ ليس في العالم شيء يستحق أن تفقد من أجله حياتك أو حريتك .

ــ شرفي .

ــ طلقها .

ــ شرفي .

ــ ان طلقتها سيصبح شرفها هي وليس شرفك أنت .

ويصمت عبد الباقي حينا ويجلس ويجتذب من أعماقه نفسا بعيد الاغوار .

ــ عجيبة .

ــ ماذا ؟

ــ أحس الآن بالراحة .

ــ حقا ؟

ــ لقد قتلته .

ــ هل قتلته ؟

ــ أنا قتلته ولكن هو لم يمت .

ــ اذن فانت فعلت ماتريد .

ــ لقد قتلته .

***

ظل عدلي مسمرا وتقاطر الناس الى صوت الرصاص فوجدوه واقفا جامدا على موضعه لم ينتقل وراحوا يسألون وهو شارد ... ذاهل ... مروع .

ــ قتلني .

ــ ليس بك جرح .

ــ ولكنه قتلني .

ــ من ؟

وتطايرت القصة في أرجاء القرى جميعا وأصبح القوم ولا حديث لهم الا هذا الحادث فانهم هناك يترقبون مثل هذه الحوادث بشغف، يتسقطون أنباءها ويمضغون حديثها فانهم هناك لا يجدون الكثير من وسائل التسلية ولا عزاء لهم عن هذا الا الحديث .. لن يتركه

عدل سيجعل من جثته غربالا ·· ستسمع الكثير في الايام القليلة القادمة ··· وسترى الكثير في الايام القليلة القادمة ··· ونقول ·· ونروى ونتحدث ونتسلى ·

وتمر الايام ويزداد التوقع والتشوق وعدل وحده يعلم انه لن يستطيع أن يصنع شيئا ان يده لا تعرف طريقها الى الطبق الذى يأكل منه الا بالتحسس ·· لن يستطيع ··· لن يستطيع ·

ويمر بالناس فترنو اليه العيون في ترقب وتوقع وهي اكبار أيضا فهو الرجل الذى تعلقت به آمالهم أن يمدهم بموضـــوع للحديث يبعدهم عن الملالة شهرا أو ربما شهرين ·· انهم يتوقعون وهو يعلم انهم يتوقعون ولكن كيف ·· لعله يستطيع أن يستأجر قاتلا ·· انها اذن النهاية ··· على الذى عاش عمره جميعا يستأجره الناس للقتل يستأجر هو الآخر · اذن قد مات عدل ·

وتمر الايام وتصبح أسابيع وما تلبث أن تصبح شهورا ويحس الناس بخيبة الامل فقد فتر حديثهم عن حادثة عبـــد الباقي وهم يريدون أن يبدأوا حديثهم عن عدل لقد خاب املهم ··· خاب أملهم· ولكن عدل ما يزال يمر بالناس ويلقى التحية وقد أصبح الرجال يستقبلون هذه التحية بضمة فاترة فيتظاهر عدل بانه لم يلحظ هذا الفتور ويمر الاطفال فيسعد بالنغمة المرحبة المليئة بالاعجاب والاكبار ويسعد ويشعر أنه ما زال ذا مجد وشموخ ·

حتى كان يوم ··· يا له من يوم ·

مر الاطفال وكان من بينهم محمد بن عبده ابو السيد ··· وكانت هذه الشلة من الاطفال قد عودته أن ترد تحيته في اعجاب شديد يزيد على اعجاب الجماعات الاخرى من الاطفال ·

ـ السلام عليكم يا رجال ·

وتخافتت الاصوات وهي تقول ·

ـ ســـلام ·

سلام فقط ··· أين اذن الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيد الرجال اذن الاطفال أيضا قد أصابتهم عدوى الفتور · ·

ولكن انتظر ما هذا ·

انه لم يكن يخطو خطوتين حتى سمع صوتا ·· انه يعرفه ·· يعرف الصوت قال الصوت ·

ـ جاءتك خيبة يا عدل ·

ويضحك الاطفال ولا يملك عدل نفسه فينقلب اليهم ·

ـ ولد يا محمد كيف تقول هذا ؟

ـ اصلك خايف ولا مو آخذة يا عم عدل ·

ـ قتلت ثلاثين رجلا ولا يمكن ان انتهى الى قتل الاطفال ·

ـ تستطيع ان تقتل رجلا اذا شئت يا عم عدل ·

ـ والله لن أقتل الا اباك ·

ـ انا شتمتك ··· انما غيرى قتلك ولم تمد اليه يدا جاءتك خيبة يا عم عدل وثار عدل وهاج وعلا صوته وصرخ لقد أعمـــاه الغيظ عن ادراك الموقف فتجمع الناس ووجد القوم آخر الامر حديثا يسليهم عن الملالة ·

ولكن عدل لم يطق ··· حياته أهون من ضياع مجده ·

انتظر عبد الباقي في الطريق وتحرى أن يكون ملاحقا للمكان الذي يمر به عبد الباقي ··· ومر عبد الباقي وأطلق عدل رصاصة وثنى بأخرى قبل أن يقفز اليه عبـــد الباقي فيصرعه ·· ويصرخ عبد الباقي ويأتى الناس ويبلغ الحادث الى الشرطة والنيابة وحين يأتون الى مكان الحادث يقرر وكيل النيابة حفظ القضية والسبب ان المكان الذي اطلق منه عدل الرصاص على عبد الباقي لا يسمح بالخطأ فقد كانت المسافة مترا واحدا فالشكوى كيدية يحاولون بها سجن عدل فالاعمى وهو اعمى لايمكن أن يخطىء من هـــذه المسافة القريبة ·

ووجد القوم آخر الامر شيئا يتحدثون فيه ··· واصبح عدل آخر الامر أسطورة خزى وخذلان ··· وبعد شهور كان عبده أبو السيد يسير بحماره فاذا بعدل يمسك برقبة الحمار ·

ـ حاول ان يقتلنى عتاولة المجرمين يا عبده يا أبو السيد فلم يستطيعوا ولكن ابنك يا عبده أبو السيد قتلنى ··· فوضت أمرى الى الله ·· فوضت أمرى الى الله ·

أنفاسي أين ذهبت ... لماذا لا أتنفس ... كيف استطاعت الدنيا جميعا أن تجثم على صدرى فلا أتنفس وكيف لا أزال أعيش وأنا لا أتنفس .. نعم انى أريد أن أعيش ولكن هل تكفى هذه الارادة حتى تجعلنى أعيش دون أن التقط من الهواء أنفاسى ... ؟ كيف وجدت نفسى فى هذه الحجرة ؟ وكيف اغلق على بابها وأغلقت من دونى نوافذها .. هذه النافذة الشرقية ، وهذه النافذة الغربية ، وهذه النافذة هى الوسط بينهما .. لماذا اقفلت النوافذ جميعا فأصبحت لا أرى شيئا على الاطلاق وانما ... أسمع ...

هناك ضجيج فى الخارج هادر صخاب ... أنا لا أدرى شيئا ولا أتنفس ... لا ... لن يستطيعوا أن يستلبوا عقلى أو تفكيرى أو ذاكرتى ... فليعملوا الابواب والنوافذ ما شاء جبروتهم أن يعملوا ولكنى سأظل أفكر وسأظل اذكر .

أرى هذا البخور ينساب الى الحجرة من خصاص النوافذ المغلقة ومن أسفل الباب المغلق ... أراه ولكنى لا أشمه . فأنا لا أتنفس ، وما دمت لا أتنفس فأنا لا أشم ... وما دمت لا أشم فالبخور لايصل الى عقلى ولا يؤثر فى ولا يصل بى الى الخدر الذى يبيتون لى ... انى مفيق وان كنت لا أتنفس ، وسأظل مفيقا ... فأملى الوحيد فى الحياة أن أظل مفيقا ... وانى مفيق .

انها ليست حياتى وحدها التى أعيش لها ... ان حياة أختى معلقة بحياتى ... اذا أنا مت ماتت . واذا أنا ضعفت لهذا الخدر الذى يطلقون على انفردوا بأختى . وويل لأختى اذا هم انفردوا بها ... الموت أهون ما تلاقيه ...

ليست أختى مجرد أخت وانما هى ماضى وحاضرى ومستقبلى .. ليس لى فى الحياة الا هى .. وليس لها فى الحياة الا أنا ...

ويكفى ان تكون مجرد اختى لابذل فى سبيلها حياتى ، ولكنها اكثر من ذلك ... اكثر بكثير ...

ان اختى هى الانفاس التى تتردد فى كيانى ، هى غذائى وفكرى وامل ... وليس هذا بغريب ... فقد عرفتها وانا لا اعرف فى الوجود شيئا ، وظللت اعرفها بعد ذلك .

اعرفها كجزء من كيانى وما زالت كل كيانى ... لقفتنى يداها وانا ادلف الى الحياة وقد مات ابى وام [illegible] ... وماتت امى وهى تلدنى ، ولم يبق لى فى الحيـــاة [illegible] لاختى حينذاك احد ... فتاة فى ربيع العمر ، ليس [illegible] كاؤها المتوقد ، وتحمل عبء طفل رضيع وليس له [illegible] شبعه .

عملت ... عملت فى كل الاعمال ، ورفضت أن تتزوج حتى تراني وقد استقام امرى ، ولكن هنـاك شيئا واحدا لم [illegible] أن تضحى به من أجل .

ـ انني أحتفظت بها من اجلك .
ـ كنت تكسبين أكثر لو تنازلت عن حريتك .
ـ كنت أفقد كل شئ .
ـ وهـــم .
ـ الوهم ان أفقدها .
ـ كان يمكن ان تشقى الحياة فى يسر لو لم تتمسكى بهـا هذا التمسك الاعمى .
ـ أعتقد انه الحق .
ـ والحيـــاة .
ـ لا حياة بدونها .
ـ كنت تعملين ؟
ـ العمل حرية .
ـ وقيـــود .
ـ حرية بلا قيود هى الفوضى .
ـ لقد حملت العبء ثقيلا
ـ شعورى بانى حرة جعلنى احتمله .
ـ وقدمت لى الحرية .

ـ الم تسعد بها ؟
ـ لست أدرى .
ـ أنك تحاول التفلسف .
ـ بل أقول الحق .
ـ أنك تدمرنى بهذا الذى تقول .
ـ اعتقد انه الحق .
ـ اذن فعبث كل الذى بذلته من اجلك .
ـ اننى اعيش .
ـ ان كنـ[illegible] لا تعرف معنى ماقدمت فأنت لاتعيش .

ـ انك تعيش لانك تتنفس .
ـ كل انسان يعيش لانه يتنفس .
ـ لو تنفست ما وهبته لك ما احتجت الى الشهيق والزفير .
ـ انا لا أدرى .
ـ كل ما فى الامر انك لم تجد نفسك محتاجا لتدرى .
ـ لا أفهم .
ـ لم تتعرض للموقف الذى تمتحن فيه نفسك .
ـ أرجو الا أتعرض .
ـ بل أرجو أن تتعرض .

وحين استقام منى الامر واصبحت قادرا على مواجهة الحياة تقدم الى اختى من يخطبها .

رجل كبير فى السن ، ذو سطوة وسلطان ..

ـ انه كبير فى السن .
ـ وهل يمكن ان يتزوجنى الا كبير فى السن ؟
ـ الا تخافين .
ـ فى كل حياة جديدة عناصر من الخوف .
ـ لم تتعودى .
ـ لابد ان أتعود .
ـ ولماذا ؟
ـ من اجلك ..

ـ من أجلى أنا ؟
ـ أريد أن تتجدد أنت أيضا ·
ـ ولكنك ستظلين أختى
ـ وزوجة ·
ـ لماذا تقولين هذا ؟
ـ لقد عشت عمرا طويلا فرعا ··· مجرد فـرع ··· أريدك أن تكون أصلا ·
ـ لمـــاذا ؟
ـ لتعيش الحياة ··· لابد للحياة أن تعيش
ـ فليعمل غيرنا على أن تعيش الحياة ·
ـ ولماذا لا نعمل نحن ؟
ـ لانى ···
ـ قـــل ·
ـ لانى أحبك ·
ـ ولانى أحبك أقبل الزواج ·

وذهبت الى بيت زوجها وبدات حياة جديدة ··· وبدات انا ايضا حياة جديدة ··· ولكننى كنت أذهب اليها فى كل يوم ··· الاسى والحزن والالم واللوعة هى وجهها ··· والسعادة والهناء والبشر والسرور هى الفاظها ·

ـ مالك ؟
ـ سعيدة ·
ـ حقا ؟
ـ ألا ترى ؟
ـ لا ··· ولكنى أسمع ·
ـ ما تسمعه هو الحقيقة ·
ـ لابد أن أراه ·
ـ يكفيك أن تسمع ·

كنت أذهب الى بيت أختى فى مواعيد منظمة ··· وكنت كلما شهدت التناقض بين ما تراه عينى وما تسمعه اذنى ازداد لهفـــة عليها وخوفا ··· وفى يوم ذهبت فى غير موعدى فوجـــدتها فى حجرة مغلقة مع زوجها ··· فمكثت انتظر خروجها ··· وخرجت بعد وقت لم يطل ·

ـ وبماذا تبررين هذه الدموع ؟

ـ دموع فرح ·
ـ دموع الفرح ليست غزيرة كهذه الدموع ·
ـ اتعرف لها عددا معينا ؟
ـ دمعة واحدة او اثنتين ·
ـ ولكن الفرح الكبير له دموع كثيرة ·
ـ ليست هذه دموع فرح ·

لم اكن قبل ذلك أسأل زوجها عن شىء ، ولكننى فى ذلك اليوم

ـ لمـــاذا ؟
ـ ماذا ؟
ـ لماذا لا تسعدها ؟
ـ هل شكت ؟
ـ دون أن تتكلم ·
ـ ليس هناك ما تشكو منه ·
ـ لانك تمنعها من الشكوى ·
ـ بل لانها لاتجد ما تشكو منه ·
ـ لعلها لاتريد أن تزعجنى ·
ـ حين تشكو اليك اسأل ·
ـ ولكن لماذا لاتسعدها ··· لقد وهبت لك أغلى ماادخـــرته فى حياتها ·
ـ انما اصنع كل ما اصنعه لاسعادها ·
ـ لن يفيد هذا المخدر الذى يبثونه عبر النـــوافذ ومن تحت الباب · فانى مفيق ·

وانى اذكر ··· اذكر حين ذهبت اليها مرة أخرى على غير موعد فوجدت زوجها يضربها فى البهو بعصا غليظة ، وهى صامتة جامدة وهو يضرب ويضرب ·

ولم افكر ··· ووجدت نفسى أهم على العصا لاوقفها ، وقبل أن أصل كنت هنا فى هذه الغرفة ·

لا أتنفس ، ولكننى أعيش ··· ان الحياة التى فى داخل تجعلنى أعيش ·

- -

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٧٩/٤٩٠٠
الترقيم الدولى ٥ = ٩٨ = ٧٠٤١ = ٩٧٧ - ISBN

هذا الكتاب

يختتم « كتاب اليوم » هذا العام بهذه المجموعة القصصية للكاتب الأديب الأستاذ ثروت أباظة الذي عرف بجزالة عباراته وسلاستها وأسلوبه المميز الممتع.

ويتضمن الكتاب ١٥ قصة من نبض الحياة ، تتغلغل في خلجات النفس البشرية فيها كل المتعة للقلب والعقل .. والاثارة للمشاعر .